

تفسير الجريم الرحمن في تفسير كلام المناد

جزء عم

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي
(المتوفى: ١٣٧٦هـ)



المحتويات

٧٠	تفسير سورة القدر	٣	تفسير سورة عم
٧١	تفسير سورة لم يكن	٩	تفسير سورة النازعات
٧٣	تفسير سورة اذا زلزلت	١٤	تفسير سورة عبس
٧٤	تفسير سورة العاديات	١٨	تفسير سورة التكويد
٧٦	تفسير سورة القارعة	٢٢	تفسير سورة الانفطار
٧٧	تفسير سورة الهاكم التكاثر	٢٤	تفسير سورة المطفين
٧٩	تفسير سورة والعصر وهي	٢٩	تفسير سورة الانشقاق
٨٠	تفسير سورة الهمة	٣٢	تفسير سورة البروج
٨١	تفسير سورة الفيل	٣٦	تفسير سورة الطارق
٨٢	تفسير سورة لا يلاف	٣٩	تفسير سورة سبح
٨٣	تفسير سورة الماعون	٤٢	تفسير سورة الغاشية
٨٤	تفسير سورة الكوثر	٤٥	تفسير سورة الفجر
٨٥	تفسير سورة الكافرون	٥٠	تفسير سورة لا اقسيم
٨٧	تفسير سورة النصر	٥٣	تفسير سورة والشمس
٨٩	تفسير سورة تبت	٥٦	تفسير سورة والليل
٩٠	تفسير سورة الاخلاص	٦٠	تفسير سورة والضحي
٩١	تفسير سورة الفلق	٦٣	تفسير سورة ألم نشرح لك
٩٢	تفسير سورة الناس	٦٥	تفسير سورة والتين
		٦٧	تفسير سورة اقرأ

تَفْسِيرُ سُورَةِ عَمِّ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمِّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ

أَيُّ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُ الْمُكَذِّبُونَ بآيَاتِ اللَّهِ؟ ثُمَّ بَيَّنَّ مَا يَتَسَاءَلُونَ عَنْهُ فَقَالَ: عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ أَيُّ: عَنِ الْخَبَرِ الْعَظِيمِ الَّذِي طَالَ فِيهِ نِزَاعُهُمْ، وَانْتَشَرَ فِيهِ خِلَافُهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّكْذِيبِ وَالِاسْتِبْعَادِ، وَهُوَ النَّبِيُّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الشَّكَّ وَلَا يَدْخُلُهُ الرَّيْبُ، وَلَكِنَّ الْمُكَذِّبُونَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

وَلِهَذَا قَالَ: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ أَيُّ: سَيَعْلَمُونَ إِذَا نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا بِهِ يُكَذِّبُونَ، حِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً، وَيُقَالُ لَهُمْ: هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى النَّعْمَ وَالْأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فَقَالَ:

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا

أَيُّ: أَمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ بِنِعْمِ جَلِيلَةٍ، فَجَعَلْنَا لَكُمْ الْأَرْضَ مِهَادًا أَيُّ: مُمَهَّدَةً مُذَلَّلَةً لَكُمْ وَلِمَصَالِحِكُمْ، مِنَ الْحُرُوثِ وَالْمَسَاكِينِ وَالسُّبُلِ.

وَالْجِبَالِ أَوْ تَادَا تَمْسُكُ الْأَرْضُ لَيْلًا تَضْطَرِبُ بِكُمْ وَتَمِيدَ.

وَوَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا أَيُّ: ذُكُورًا وَإِنَاثًا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، لِيَسْكُنَ كُلُّ مِنْهُمَا إِلَى الْآخِرِ، فَتَتَكُونُ الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ، وَتَنْشَأُ عَنْهُمَا الدُّرِيَّةُ، وَفِي ضَمَنِ هَذَا الْإِمْتِنَانِ، بِلَذَّةِ الْمَنْكَحِ. وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا أَيُّ: رَاحَةً لَكُمْ، وَقَطْعًا لِأَشْغَالِكُمْ، الَّتِي مَتَى تَمَادَتْ بِكُمْ أَصْرَتْ n بِأَبْدَانِكُمْ، فَجَعَلَ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّوْمَ يَغْشَى النَّاسَ لِيَتَسَكَّنَ حَرَكَاتِهِمُ الضَّارَّةَ، وَتَحْصُلُ رَاحَتُهُمُ النَّافِعَةُ.

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا أَيُّ: سَبْعُ سَمَاوَاتٍ، فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ، وَالصَّلَابَةِ وَالشَّدَّةِ، وَقَدْ أَمْسَكَهَا اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَهَا سَقْفًا لِلْأَرْضِ، فِيهَا عِدَّةٌ مَنَافِعَ لَهُمْ، وَلِهَذَا ذَكَرَ مِنْ مَنَافِعِهَا الشَّمْسُ فَقَالَ: وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا نَبَّهَ بِالسِّرَاجِ عَلَى النِّعْمَةِ بِنُورِهَا، الَّذِي صَارَ ضَرُورَةً لِلْخَلْقِ، وَبِالْوَهَّاجِ وَهِيَ حَرَارَتُهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْإِنْضَاجِ وَالْمَنَافِعِ .

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ أَيُّ: السَّحَابِ مَاءً نَجَّاجًا أَيُّ: كَثِيرًا جَدًّا.

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا مِنْ بُرٍّ وَشَعِيرٍ وَذَرَّةٍ وَأَرْزٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْكُلُهُ الْآدَمِيُّونَ.

وَبَتَاتًا يَشْمَلُ سَائِرَ النَّبَاتِ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ قُوْتًا لِمَوَاشِيهِمْ.

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا أَيُّ: بَسَاتِينٍ مُلْتَفَّةً، فِيهَا مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ اللَّذِيذَةِ. فَالَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهِذِهِ النَّعْمِ الْجَلِيلَةِ، الَّتِي لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهَا، وَلَا يُحْصَى عَدْدُهَا، كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِهِ وَتُكذِّبُونَ مَا أَخْبَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ؟! أَمْ كَيْفَ تَسْتَعِينُونَ بِنِعْمِهِ عَلَى مَعْاصِيهِ وَتَجْحَدُونَهَا؟»

إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا يَوْمٌ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآبًا لِابْتِئَانِهِ فِيهَا أَحْقَابًا لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وَفَاقًا إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوا

فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا

ذَكَرَ تَعَالَى مَا يَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَتَسَاءَلُ عَنْهُ الْمُكَذِّبُونَ، وَيَجْحَدُهُ الْمُعَانِدُونَ، أَنَّهُ يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ مِيقَاتًا لِلْخَلْقِ.

يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَيَجْرِي فِيهِ مِنَ الرَّعَازِعِ وَالْقَلَاقِلِ مَا يَشِيبُ لَهُ الْمَوْلُودُ، وَتَنْزَعُ لَهُ الْقُلُوبُ، فَتَسِيرُ الْجِبَالُ، حَتَّى تَكُونَ كَالْهَبَاءِ الْمُبْثُوثِ، وَتَنْشَقُّ السَّمَاءُ حَتَّى تَكُونَ أَبْوَابًا، وَيَفْصِلُ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ بِحُكْمِهِ الَّذِي لَا يَجُورُ، وَتُوقَدُ نَارُ جَهَنَّمَ الَّتِي أَرْصَدَهَا اللَّهُ وَأَعَدَّهَا لِلطَّاغِينَ، وَجَعَلَهَا مَثْوًى لَهُمْ وَمَأْبًا، وَأَنَّهُمْ يَلْبَثُونَ فِيهَا أَحْقَابًا

كثيرةً و (الْحَقْبُ) عَلَى مَا قَالَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: ثَمَانُونَ سَنَةً. فَإِذَا وَرَدُوهَا لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا أَي: لَا مَا يُبْرِدُ جُلُودَهُمْ، وَلَا مَا يَدْفَعُ ظَمَأَهُمْ.

إِلَّا حَمِيمًا أَي: مَاءً حَارًّا، يَشْوِي وُجُوهَهُمْ، وَيَقْطَعُ أَمْعَاءَهُمْ، وَعَسَاقًا وَهُوَ: صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، الَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ النَّتَنِ، وَكَرَاهَةِ الْمَذَاقِ، وَإِنَّمَا اسْتَحَقُّوا هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ الْفَظِيحَةَ جَزَاءً لَهُمْ وَوَفَاقًا عَلَى مَا عَمِلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَيْهَا، لَمْ يَظْلِمَهُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَلِهَذَا ذَكَرَ أَعْمَالَهُمْ، الَّتِي اسْتَحَقُّوا بِهَا هَذَا الْجَزَاءَ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا أَي: لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ، وَلَا أَنَّ اللَّهَ يُجَازِي الْخَلْقَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَلِذَلِكَ أَهْمَلُوا الْعَمَلَ لِلْآخِرَةِ.

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا أَي: كَذَّبُوا بِهَا تَكْذِيبًا وَاضِحًا صَرِيحًا وَجَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَانَدُوهَا.

وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ، وَخَيْرٍ وَشَرٍّ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا أَي: اثْبَتْنَاهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، فَلَا يَحْسَبُ الْمُجْرِمُونَ أَنَّا عَذَّبْنَاهُمْ بِذُنُوبٍ لَمْ يَعْمَلُوهَا، وَلَا يَحْسَبُونَ أَنَّهُ يَضِيعُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ، أَوْ يُنْسَى مِنْهَا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا

فَدُوفُوا أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ هَذَا الْعَذَابُ الْأَلِيمَ وَالْحِزْيَ الدَّائِمَ فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا وَكُلُّ وَفْتٍ وَحِينٍ يَزِيدُ عَذَابَهُمْ وَهَذِهِ الْآيَةُ أَشَدُّ الْآيَاتِ فِي شِدَّةِ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْهَا .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا

لَمَّا ذَكَرَ حَالَ الْمُجْرِمِينَ ذَكَرَ مَالَ الْمُتَّقِينَ فَقَالَ: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا أَي: الَّذِينَ اتَّقَوْا سُخْطَ رَبِّهِمْ، بِالتَّمَسُّكِ بِطَاعَتِهِ، وَالْإِنْكَفَافِ عَمَّا مَعْصِيَتِهِ فَلَهُمْ مَفَازٌ وَمَنْجَى، وَبَعْدُ عَنِ النَّارِ. وَفِي ذَلِكَ الْمَفَازِ لَهُمْ حَدَائِقُ وَهِيَ الْبَسَاتِينُ الْجَامِعَةُ لِأَصْنَافِ الْأَشْجَارِ الرَّاهِيَةِ، فِي الثَّمَارِ الَّتِي تَتَفَجَّرُ بَيْنَ خِلَالِهَا الْأَنْهَارُ، وَخَصَّ الْعِنَبَ لِشَرَفِهَا وَكَثْرَتِهَا فِي تِلْكَ الْحَدَائِقِ.

وَلَهُمْ فِيهَا زُوجَاتٌ عَلَى مَطَالِبِ النُّفُوسِ « كَوَاعِبَ » وَهِيَ: النَّوَاهِدُ اللَّاتِي لَمْ تَتَكَسَّرْ نَدِيهِنَّ مِنْ شَبَابِهِنَّ، وَقُوتِهِنَّ

وَنَضَارَتِهِنَّ . وَالْأَتْرَابُ اللَّاتِي عَلَى سَنٍّ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ، وَمِنْ عَادَةِ الْأَتْرَابِ أَنْ يَكُنَّ مُتَأَلِّفَاتٍ مُتَعَاشِرَاتٍ، وَذَلِكَ السَّنُّ الَّذِي هُنَّ فِيهِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، أَعْدَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّبَابِ . وَكَأْسًا دِهَاقًا أَي: مَمْلُوءَةٌ مِنْ رَحِيقٍ، لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا أَي: كَلَامًا لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَلَا كِذَابًا أَي: إِثْمًا.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا وَإِنَّمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ الْجَرِيلَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ . عَطَاءً حِسَابًا أَي: بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمِ الَّتِي وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لَهَا، وَجَعَلَهَا سَبَبًا لِلْوُصُولِ إِلَى كَرَامَتِهِ .

رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَا إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا

قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا

أَي: الَّذِي أَعْطَاهُمْ هَذِهِ الْعَطَايَا هُوَ رَبُّهُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي خَلَقَهَا وَدَبَّرَهَا الرَّحْمَنُ الَّذِي رَحِمْتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَرَبَّاهُمْ وَرَحِمَهُمْ، وَلَطَفَ بِهِمْ، حَتَّى أَدْرَكُوا مَا أَدْرَكُوا.

ثُمَّ ذَكَرَ عَظَمَتَهُ وَمُلْكَهُ الْعَظِيمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ كُلَّهُمْ سَاكِنُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا يَتَكَلَّمُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا إِلَّا مَنْ أَدَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا، فَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِهَدْيِ الشَّرْطَيْنِ: أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ فِي الْكَلَامِ، وَأَنْ يَكُونَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ صَوَابًا، لِأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَرُوجُ فِيهِ الْبَاطِلُ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهِ الْكَذِبُ، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَقُومُ الرُّوحُ وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ وَالْمَلَائِكَةُ أَيْضًا يَقُومُ الْجَمِيعُ صَفًّا خَاضِعِينَ لِلَّهِ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِإِذْنِهِ لَهُمُ اللَّهُ بِهِ .

فَلَمَّا رَعِبَ وَرَهَّبَ، وَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ، قَالَ: فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَا أَي: عَمَلًا وَقَدَّمَ صِدْقٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا لِأَنَّهُ قَدْ أَزِفَ مُقْبِلًا وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ فَهُوَ قَرِيبٌ.

يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ أَي: هَذَا الَّذِي يَهْمُهُ وَيَفْرَعُ إِلَيْهِ، فَلْيَنْظُرْ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَا قَدَّمَ لِدارِ الْقَرَارِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ الْآيَاتِ.

فَإِنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ، وَإِنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلِهَذَا كَانَ الْكُفَّارُ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ شِدَّةِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ.

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنَا مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرِّ كُلِّهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.
تَمَّتْ

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ عَمَّ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّازِعَاتِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ
تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ يَقُولُونَ أِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً قَالُوا
تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ

هَذِهِ الْإِقْسَامَاتُ بِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ، وَأَفْعَالِهِمُ الدَّالَّةُ عَلَى كَمَالِ انْقِيَادِهِمْ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَإِسْرَاعِهِمْ فِي تَنْفِيذِهِ،
يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ، الْجَزَاءُ وَالْبَعْثُ، بِدَلِيلِ الْإِثْنَانِ بِأَحْوَالِ الْقِيَامَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ
وَالْمُقْسَمَ بِهِ مُتَّحِدَانِ، وَأَنَّهُ أَقْسَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِهِمْ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ، وَلِأَنَّ فِي ذِكْرِ
أَفْعَالِهِمْ هُنَا مَا يَتَضَمَّنُ الْجَزَاءَ الَّذِي تَتَوَلَّاهُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَقَبْلَهُ وَبَعْدَهُ، فَقَالَ: وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَهُمْ
الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَنْزِعُ الْأَرْوَاحَ بِقُوَّةٍ، وَتَغْرُقُ فِي نَزْعِهَا حَتَّى تَخْرُجَ الرُّوحُ، فَتُجَازَى بِعَمَلِهَا.

وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ أَيْضًا، تَجْتَذِبُ الْأَرْوَاحَ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، أَوْ أَنَّ النُّشْطَ يَكُونُ لِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ،
وَالنُّشْطَ لِأَرْوَاحِ الْكُفَّارِ.

وَالسَّابِحَاتِ أَي: الْمُتَرَدِّدَاتِ فِي الْهَوَاءِ صُعُودًا وَنُزُولًا سَبْحًا

فَالسَّابِقَاتِ لِغَيْرِهَا سَبْقًا فَتُبَادِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَسْبِقُ الشَّيَاطِينَ فِي إِبْصَالِ الْوَحْيِ إِلَى رُسُلِ اللَّهِ لِيَتَلَّأ تَسْتَرْقَهُ .
فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا الْمَلَائِكَةُ، الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ يُدَبِّرُونَ كَثِيرًا مِنْ أُمُورِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ، مِنْ الْأَمْطَارِ،
وَالنَّبَاتِ، وَالْأَشْجَارِ، وَالرِّيَّاحِ، وَالْبِحَارِ، وَالْأَجِنَّةِ، وَالْحَيَوَانَاتِ، وَالْجِنَّةِ، وَالتَّارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ وَهِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ أَي: الرَّجْفَةُ الْأُخْرَى الَّتِي تُرْدِفُهَا وَتَأْتِي تَلُوهَا، قُلُوبٌ

يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَي: مُنْزَعَجَةٌ وَمُنْزَعَجَةٌ مِنْ شِدَّةٍ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ.

أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ أَي: ذَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ، قَدْ مَلَكَ قُلُوبَهُمُ الْخَوْفُ، وَأَذْهَلَ أَفْنِدَتَهُمُ الْفَرْعُ، وَعَلَبَ عَلَيْهِمُ التَّاسُفُ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَسْرَةُ.

يَقُولُونَ أَي: الْكُفَّارُ فِي الدُّنْيَا، عَلَى وَجْهِ التَّكْذِيبِ: إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً أَي: بِالْيَةِ فُتَاتًا.

قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ أَي: اسْتَبَعَدُوا أَنْ يَبْعَثَهُمُ اللَّهُ وَيُعِيدَهُمْ بَعْدَمَا كَانُوا عِظَامًا نَخِرَةً، جَهْلًا مِنْهُمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ، وَتَجَرُّوًا عَلَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ فِي بَيَانِ سُهُولَةِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَيْهِ: فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ.

فَإِذَا الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ بِالسَّاهِرَةِ أَي: عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، فَيَجْمَعُهُمُ اللَّهُ وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ وَيُجَازِيهِمْ.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى وَهَذَا الْإِسْتِفْهَامُ عَنْ أَمْرِ عَظِيمٍ مُتَحَقِّقٍ وَقُوعُهُ. أَي: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُهُ .

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَهُوَ الْمَحَلُّ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ فِيهِ، وَامْتَنَّ عَلَيْهِ بِالرِّسَالَةِ، وَاخْتَصَّهُ بِالْوَحْيِ وَاجْتَبَاهُ فَقَالَ لَهُ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى أَي: فَانْهَ عَنْ طُغْيَانِهِ وَشُرْكِهِ وَعِصْيَانِهِ، بِقَوْلِ لَيْلٍ، وَخَطَابِ لَطِيفٍ، لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى

فَقُلْ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزُكِّي أَيُّ: هَلْ لَكَ فِي خَصْلَةٍ حَمِيدَةٍ، وَمَحْمَدَةٍ جَمِيلَةٍ، يَتَنَافَسُ فِيهَا أَوْلُو الْأَلْبَابِ، وَهِيَ أَنْ تَزُكِّي نَفْسَكَ وَتُطَهِّرَهَا مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ، إِلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؟

وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ أَيُّ: أَذُوكَ عَلَيْهِ، وَأَبِينْ لَكَ مَوَاقِعَ رِضَاهُ، مِنْ مَوَاقِعِ سُخْطِهِ. فَتَخْشَى اللَّهَ إِذَا عَلِمْتَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَاْمْتَنَعَ فِرْعَوْنُ مِمَّا دَعَاهُ إِلَيْهِ مُوسَى.

فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى أَيُّ: جِنْسَ الْآيَةِ الْكُبْرَى، فَلَا يُنَافِي تَعَدُّدَهَا فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيِّضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ

فَكَذَّبَ بِالْحَقِّ وَعَصَى الْأَمْرَ، ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى أَيُّ: يَجْتَهِدُ فِي مُبَارَزَةِ الْحَقِّ وَمُحَارَبَتِهِ، فَحَشَرَ جُنُودَهُ أَيُّ: جَمَعَهُمْ فَنَادَى فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى فَأَذْعَنُوا لَهُ وَأَقْرُوا بِبَاطِلِهِ حِينَ اسْتَحَفَّهُمْ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى أَيُّ: جَعَلَ اللَّهُ عُقُوبَتَهُ دَلِيلًا وَزَاجِرًا، وَمُبَيِّنَةً لِعُقُوبَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى فَإِنَّ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، فَإِذَا رَأَى عُقُوبَةَ فِرْعَوْنَ، عَرَفَ أَنَّ كُلَّ مَنْ تَكَبَّرَ وَعَصَى، وَبَارَزَ الْمَلِكَ الْأَعْلَى، عَاقَبَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَمَّا مَنْ تَرَحَّلَتْ حَشِيَّةُ اللَّهِ مِنْ قَلْبِهِ، فَلَوْ جَاءَتْهُ كُلُّ آيَةٍ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا.

أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ

يَقُولُ تَعَالَى مُبَيِّنًا دَلِيلًا وَاضِحًا لِمُنْكَرِي الْبَعْثِ وَمُسْتَبْعِدِي إِعَادَةِ اللَّهِ لِلْأَجْسَادِ: أَنْتُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ ذَاتُ الْجَرْمِ الْعَظِيمِ، وَالْخَلْقِ الْقَوِيِّ، وَالْإِرْتِفَاعِ الْبَاهِرِ بَنَاهَا اللَّهُ.

رَفَعَ سَمَكَهَا أَيُّ: جَرَمَهَا وَصَوَّرَتَهَا، فَسَوَّاهَا بِأَحْكَامٍ وَإِتْقَانٍ يُحَيِّرُ الْعُقُولَ، وَيُذْهِلُ الْأَلْبَابَ، وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا أَيُّ: أَظْلَمَهُ، فَعَمَّتِ الظُّلْمَةُ جَمِيعَ أَرْجَاءِ السَّمَاءِ، فَأَظْلَمَ وَجْهَ الْأَرْضِ، وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا أَيُّ: أَظْهَرَ فِيهِ النُّورَ

الْعَظِيمِ، حِينَ أَتَى بِالشَّمْسِ، فَانْتَشَرَ النَّاسُ فِي مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ أَيُّ: بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ دَحَاهَا أَيُّ: أودَعَ فِيهَا مَنَافِعَهَا.

وَفَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا أَيُّ: ثَبَّتَهَا بِالْأَرْضِ. فَدَحَى الْأَرْضَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، كَمَا هُوَ نَصُّ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ. وَأَمَّا خَلْقُ نَفْسِ الْأَرْضِ، فَمُتَقَدِّمٌ عَلَى خَلْقِ السَّمَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَالَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْعِظَامَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ وَالْأَجْرَامِ، وَالْأَرْضِ الْغُبْرَاءِ الْكَثِيفَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الْخَلْقِ وَمَنَافِعِهِمْ، لَا بُدَّ أَنْ يَبْعَثَ الْخَلْقَ الْمُكَلَّفِينَ، فَيَجَازِبُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ أَحْسَنَ فَلَهُ الْحُسْنَى، وَمَنْ أَسَاءَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلِهَذَا ذَكَرَ بَعْدَ هَذَا قِيَامَ السَّاعَةِ ثُمَّ الْجَزَاءَ، فَقَالَ:

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى

أَيُّ: إِذَا جَاءَتِ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى، وَالشُّدَّةُ الْعُظْمَى، الَّتِي يُهَوَّنُ عِنْدَهَا كُلُّ شِدَّةٍ، فَحِينَئِذٍ يَذْهَبُ الْوَالِدُ عَنِ وَلَدِهِ، وَالصَّاحِبُ عَنِ صَاحِبِهِ وَكُلُّ مُحِبٍّ عَنِ حَبِيبِهِ. وَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى فِي الدُّنْيَا، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَيَتَمَنَّى زِيَادَةَ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي حَسَنَاتِهِ، وَيَعُذُّهُ وَيَحْزَنُ لِيَزِيدَهُ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي سَيِّئَاتِهِ.

وَيَعْلَمُ إِذْ ذَاكَ أَنَّ مَادَّةَ رِبْحِهِ وَخُسْرَانِهِ مَا سَعَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَنْقَطِعُ كُلُّ سَبَبٍ وَوَصْلَةٍ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا سِوَى الْأَعْمَالِ.

وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى أَيُّ: جُعِلَتْ فِي الْبِرَازِ، ظَاهِرَةً لِكُلِّ أَحَدٍ، قَدْ بَرَزَتْ لِأَهْلِهَا، وَاسْتَعَدَّتْ لِأَخْذِهِمْ، مُنْتَظِرَةً لِأَمْرِ رَبِّهَا.

فَأَمَّا مَنْ طَغَى أَيُّ: جَاوَزَ الْحَدَّ، بِأَنْ تَجَرَّأَ عَلَى الْمَعَاصِي الْكِبَارِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى مَا حَدَّهُ اللَّهُ.

وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ فَصَارَ سَعْيُهُ لَهَا، وَوَقْتُهُ مُسْتَعْرِفًا فِي حُظُوظِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَنَسِيَ الْآخِرَةَ وَالْعَمَلَ لَهَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى لَهُ أَي: الْمَقَرُّ وَالْمَسْكَنُ لِمَنْ هَذِهِ حَالُهُ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ أَي: خَافَ الْقِيَامَ عَلَيْهِ وَمَجَازَاتَهُ بِالْعَدْلِ، فَأَثَرَ هَذَا الْخَوْفَ فِي قَلْبِهِ فَهَيَّ نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا الَّذِي يُقَيِّدُهَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَصَارَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَجَاهَدَ الْهَوَى وَالشَّهْوَةَ الصَّادِيَيْنِ عَنِ الْخَيْرِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ الْمُشْتَمَلَةَ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَسُرُورٍ وَنَعِيمٍ هِيَ الْمَأْوَى لِمَنْ هَذَا وَصْفُهُ.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا كَانَتْ لَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا

أَي: يَسْأَلُكَ الْمُتَعَنِّتُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبُعْثِ عَنِ السَّاعَةِ مَتَى وَفُوعُهَا وَ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا أَي: مَا الْفَائِدَةُ لَكَ وَلَهُمْ فِي ذِكْرِهَا وَمَعْرِفَةِ وَقْتِ مَجِيئِهَا؟ فَلَيْسَ تَحْتَ ذَلِكَ نَتِيجَةٌ، وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ عِلْمُ الْعِبَادِ لِلْسَّاعَةِ لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ وَلَا دُنْيَوِيَّةٌ، بَلِ الْمَصْلَحَةُ فِي إِخْفَائِهِ عَلَيْهِمْ، طَوَى عِلْمَ ذَلِكَ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَاسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِ فَقَالَ: إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا أَي: إِلَيْهِ يَنْتَهِي عِلْمُهَا، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لَوْ قَتَبْتُهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا أَي: إِنَّمَا نَذَرْتُكَ نَفْعَهَا لِمَنْ يَخْشَى مَجِيءَ السَّاعَةِ، وَيَخَافُ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، فَهُمْ الَّذِينَ لَا يُهْمُهُمْ إِلَّا الْإِسْتِعْدَادُ لَهَا وَالْعَمَلُ لِأَجْلِهَا. وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا، فَلَا يُبَالِي بِهِ وَلَا يَتَعَنُّهُ، لِأَنَّهُ تَعَنَّتْ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ ، وَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ، كَانَ الْإِجَابَةُ عَنْهُ عَبَثًا، يَنْزَهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ عَنْهُ.

تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تفسير سورة عبس

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنْ اسْتَعْنى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ، أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْمَى يَسْأَلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ.

وَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْيَاءِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرِيصًا عَلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ، فَمَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْعَى إِلَى الْغَنِيِّ، وَصَدَّ عَنِ الْأَعْمَى الْفَقِيرِ، رَجَاءً لِهِدَايَةِ ذَلِكَ الْغَنِيِّ، وَطَمَعًا فِي تَزْكِيَّتِهِ، فَعَابَهُ اللَّهُ بِهَذَا الْعِتَابِ اللَّطِيفِ، فَقَالَ: عَبَسَ أَيُّ: فِي وَجْهِهِ وَتَوَلَّى فِي بَدَنِهِ، لِأَجْلِ مَجِيءِ الْأَعْمَى لَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الْفَائِدَةَ فِي الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ أَيُّ: الْأَعْمَى يَزَّكَّى أَيُّ: يَتَطَهَّرُ عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَيَتَّصِفُ بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ؟

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَيُّ: يَتَذَكَّرُ مَا يَنْفَعُهُ، فَيَنْتَفِعُ بِتِلْكَ الذِّكْرَى.

وَهَذِهِ فَائِدَةٌ كَبِيرَةٌ، هِيَ الْمَقْصُودَةُ مِنَ بَعَثَةِ الرَّسْلِ، وَوَعظِ الْوَعَّاطِ، وَتَذْكِيرِ الْمُذَكِّرِينَ، فَأِقْبَالَكَ عَلَى مَنْ جَاءَ بِنَفْسِهِ مُفْتَقِرًا لِذَلِكَ مُقْبَلًا، هُوَ الْأَلْيَقُ الْوَاجِبُ، وَأَمَّا تَصَدِّكَ وَتَعَرُّضَكَ لِلْغَنِيِّ الْمُسْتَعْنِي الَّذِي لَا يَسْأَلُ وَلَا يَسْتَفْتِي لِعَدَمِ رَغْبَتِهِ فِي الْخَيْرِ، مَعَ تَرَكِّكَ مَنْ أَهَمُّ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَزَّكَّى، فَلَوْ لَمْ يَتَزَكَّ، فَلَسْتَ بِمُحَاسِبٍ عَلَى مَا عَمِلَهُ مِنَ الشَّرِّ.

فَدَلَّ هَذَا عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَشْهُورَةِ، أَنَّهُ: « لَا يُتْرَكُ أَمْرٌ مَعْلُومٌ لِأَمْرِ مَوْهُومٍ، وَلَا مَصْلَحَةٌ مُتَحَقِّقَةٌ لِمَصْلَحَةٍ مَوْهُومَةٍ » وَأَنَّهُ يَنْبَغِي الْإِقْبَالُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ، الْمُفْتَتِرِ إِلَيْهِ، الْحَرِيصِ عَلَيْهِ أَرِيدُ مِنْ غَيْرِهِ.

كَلَا إِنَّهَا تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَّةٍ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ كَلَا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ

يَقُولُ تَعَالَى: كَلَا إِنَّهَا تَذِكْرَةٌ أَي: حَقًّا إِنَّ هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ تَذِكْرَةٌ مِنَ اللَّهِ، يُذَكِّرُ بِهَا عِبَادَهُ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَيُبَيِّنُ الرُّشْدَ مِنَ الْعَيِّ، فَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ أَي: عَمِلَ بِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ

ثُمَّ ذَكَرَ مَحَلَّ هَذِهِ التَّذِكْرَةِ وَعَظْمَهَا وَرَفَعَ قَدْرَهَا، فَقَالَ: فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ الْقَدَرِ وَالرُّتْبَةِ مُطَهَّرَةٍ مِنَ الْأَفَاقِ وَعَنْ أَنْ تَنَالَهَا أَيْدِي الشَّيَاطِينِ أَوْ يَسْتَرْقُوَهَا، بَلْ هِيَ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ السَّفَرَاءُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، كِرَامٍ أَي: كَثِيرِي الْخَيْرِ وَالْبِرَكَةِ، بَرَّةٍ قُلُوبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

وَذَلِكَ كُلُّهُ حِفْظٌ مِنَ اللَّهِ لِكِتَابِهِ، أَنْ جَعَلَ السَّفَرَاءَ فِيهِ إِلَى الرُّسُلِ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْأَقْوِيَاءِ الْأَتْقِيَاءِ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِلشَّيَاطِينِ عَلَيْهِ سَبِيلًا وَهَذَا مِمَّا يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِهِ وَتَلْقِيهِ بِالْقَبُولِ، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا أَبِي الْإِنْسَانِ إِلَّا كَفُورًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ لِنِعْمَةِ اللَّهِ وَمَا أَشَدَّ مُعَانَدَتَهُ لِلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ، وَهُوَ مَا هُوَ؟ هُوَ مِنْ أَوْعَفِ الْأَشْيَاءِ، خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ قَدَّرَ خَلْقَهُ، وَسَوَّاهُ بَشَرًا سَوِيًّا، وَأَتَقَنَ قُوَاهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ.

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ أَي: يَسِّرَ لَهُ الْأَسْبَابَ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ، وَهُدَاهُ السَّبِيلَ، وَبَيَّنَّهُ وَامْتَحَنَهُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ أَي: أَكْرَمَهُ بِالدَّفْنِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَكُونُ جِيْفَهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ أَي: بَعَثَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لِلْجَزَاءِ، فَاللَّهُ هُوَ الْمُنْفِرُ بِتَدْيِيرِ الْإِنْسَانِ وَتَصْرِيْفِهِ بِهِدِهِ التَّصَارِيفِ، لَمْ يُشَارِكْهُ

فِيهِ مُشَارِكٌ، وَهُوَ -مَعَ هَذَا- لَا يَقُومُ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَقْضِ مَا فَرَضَهُ عَلَيْهِ، بَلْ لَا يَزَالُ مُقْصِرًا تَحْتَ الطَّلَبِ.

ثُمَّ أَرْشَدَهُ اللَّهُ إِلَى النَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ فِي طَعَامِهِ، وَكَيْفَ وَصَلَ إِلَيْهِ بَعْدَمَا تَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ طَبَقَاتُ عَدِيدَةٍ، وَيَسَّرَهُ لَهُ فَقَالَ: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا أَيًّا: أَنْزَلْنَا الْمَطَرَ عَلَى الْأَرْضِ بِكَثْرَةٍ.

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ لِلنَّبَاتِ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا أَصْنَافًا مُصَنَّفَةً مِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ، وَالْأَقْوَاتِ الشَّهِيئَةِ حَبًّا وَهَذَا شَامِلٌ لِسَائِرِ الْحُبُوبِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَهُوَ الْقَتُّ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَخَصَّ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ لِكَثْرَةِ فَوَائِدِهَا وَمَنَافِعِهَا.

وَحَدَائِقُ غُلْبًا أَيًّا: بَسَاتِينَ فِيهَا الْأَشْجَارُ الْكَثِيرَةُ الْمُلتَفَّةُ، وَفَاكِهَةٌ وَأَبَا الْفَاكِهَةِ: مَا يَتَفَكَّهُ فِيهِ الْإِنْسَانُ، مِنْ تِينٍ وَعِنَبٍ وَخَوْخٍ وَرُمَّانٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالْأَبُّ: مَا تَأْكُلُهُ الْبَهَائِمُ وَالْأَنْعَامُ، وَلِهَذَا قَالَ: مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ وَسَخَّرَهَا لَكُمْ، فَمَنْ نَظَرَ فِي هَذِهِ النِّعَمِ أَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ شُكْرَ رَبِّهِ، وَبَدَلَ الْجُهْدِ فِي الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالتَّصَدِيقَ بِأَخْبَارِهِ.

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ تَرَهَقُهَا فَتْرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ.

أَيًّا: إِذَا جَاءَتْ صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ، الَّتِي تَصُخُّ لِهَوْلِهَا الْأَسْمَاعُ، وَتَنْزَعُجُ لَهَا الْأَفئِدَةُ يَوْمَئِذٍ، مِمَّا يَرَى النَّاسُ مِنَ الْأَهْوَالِ وَشِدَّةِ الْحَاجَةِ لِسَالِفِ الْأَعْمَالِ.

يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَشْفَقِهِمْ عَلَيْهِ، مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ أَيًّا: زَوْجَتِهِ وَبَنِيهِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ أَيًّا: قَدْ شَغَلَتْهُ نَفْسُهُ، وَاهْتَمَّ لِفِكَاحِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ التَّفَاتُ إِلَى غَيْرِهَا،

فَحِينَئِذٍ يَنْقَسِمُ الْخَلْقُ إِلَى فَرِيقَيْنِ: سَعْدَاءُ وَأَشْقِيَاءُ، فَأَمَّا السُّعْدَاءُ، فَوُجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ أَي: قَدْ ظَهَرَ فِيهَا السُّرُورُ وَالْبَهْجَةُ، مِمَّا عَرَفُوا مِنْ نَجَاتِهِمْ، وَفُوزِهِمْ بِالنَّعِيمِ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهُ الْأَشْقِيَاءِ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا أَي: تَغْشَاهَا قَتْرَةٌ فَهِيَ سَوْدَاءٌ مُظْلِمَةٌ مُدْلَهَمَةٌ، قَدْ آيَسَتْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَعَرَفَتْ شَقَاءَهَا وَهَلَاكَهَا.

أُولَئِكَ الَّذِينَ بِهَذَا الْوَصْفِ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجْرَةُ أَي: الَّذِينَ كَفَرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَتَجَرَّأُوا عَلَى مَحَارِمِهِ.

نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّكْوِينِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ

أَيُّ: إِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ الْهَائِلَةُ، تَمَيَّزَ الْخَلْقُ، وَعَلِمَ كُلُّ مَا قَدَّمَهُ لِآخِرَتِهِ، وَمَا أَحْضَرَهُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُكْوَّرُ الشَّمْسُ أَيُّ: تُجْمَعُ وَتَلْفُ، وَيُخَسَفُ الْقَمَرُ، وَيُلْقِيَانِ فِي النَّارِ.

وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ أَيُّ: تَغَيَّرَتْ، وَتَنَاطَرَتْ مِنْ أَفْلَاكِهَا.

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ أَيُّ: صَارَتْ كَثِيبًا مَهِيلاً ثُمَّ صَارَتْ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ، ثُمَّ تَغَيَّرَتْ وَصَارَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا، وَأُزِيلَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ أَيُّ: عَطَّلَ النَّاسُ حِينَئِذٍ نَفَائِسَ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَهْتَمُّونَ لَهَا وَيُرَاعُونَهَا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، فَجَاءَهُمْ مَا يُذْهِلُهُمْ عَنْهَا، فَنَبَّهَ بِالْعِشَارِ، وَهِيَ التُّوقُ الَّتِي تَتَّبِعُهَا أَوْلَادُهَا، وَهِيَ أَنْفُسُ أَمْوَالِ الْعَرَبِ إِذْ ذَاكَ عِنْدَهُمْ، عَلَى مَا هُوَ فِي مَعْنَاهَا مِنْ كُلِّ نَفِيسٍ.

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ أَيُّ: جُمِعَتْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِيَقْتَصَّ اللَّهُ مِنْ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ، وَيَرَى الْعِبَادُ كَمَالَ عَدْلِهِ، حَتَّى إِنَّهُ يَفْتَصُّ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهَا: كُونِي تُرَابًا.

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ أَيُّ: أُوقِدَتْ فَصَارَتْ -عَلَى عِظَمِهَا- نَارًا تَتَوَقَّدُ.

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ أَي: فُرِنَ كُلُّ صَاحِبِ عَمَلٍ مَعَ نَظِيرِهِ، فَجُمِعَ الْأَبْرَارُ مَعَ الْأَبْرَارِ، وَالْفَجَّارُ مَعَ الْفَجَّارِ، وَزُوجَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَالْكَافِرُونَ بِالشَّيَاطِينِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ .

وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ وَهُوَ الَّذِي كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجُهَلَاءُ تَفَعَّلَهُ مِنْ دَفْنِ النَّبَاتِ وَهِيَ أَحْيَاءٌ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، إِلَّا خَشْيَةَ الْفَقْرِ، فَتَسَأَلُ: بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهَا لَيْسَ لَهَا ذَنْبٌ، وَلَكِنْ هَذَا فِيهِ تَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ لِقَاتِلِيهَا . وَإِذَا الصُّحُفُ الْمُشْتَمَلَةُ عَلَىٰ مَا عَمِلَهُ الْعَامِلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ نُشِرَتْ وَفُرِّقَتْ عَلَىٰ أَهْلِهَا، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ أَي: أُزِيلَتْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ» يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكِتَابِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ أَي: أَوْقَدَ عَلَيْهَا فَاسْتَعْرَتْ، وَالتَّهَبَّتِ التَّهَابًا لَمْ يَكُنْ لَهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ أَي: قُرِّبَتْ لِلْمُتَّقِينَ، عَلِمَتْ نَفْسٌ أَي: كُلُّ نَفْسٍ، لِإِتْيَانِهَا فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ.

مَا أَحْضَرَتْ أَي: مَا حَضَرَ لَدَيْهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي قَدَّمَتَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي تَنْزَعُ لَهَا الْقُلُوبُ، وَتَشْتَدُّ مِنْ أَجْلِهَا الْكُرُوبُ، وَتَرْتَعِدُ الْفَرَائِصُ وَتَعْمُ الْمَخَاوِفُ، وَتَحُثُّ أُولِي الْأَلْبَابِ لِلْإِسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ الْيَوْمِ، وَتَنْزَجُرُهُمْ عَنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ اللَّوْمَ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ، فَلْيَتَدَبَّرْ سُورَةَ إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ.

فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُسِ الْجَوَارِ الْكُنَسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

أَقْسَمَ تَعَالَى بِالْخُنُسِ وَهِيَ الْكَوَاكِبُ الَّتِي تَخْنِسُ أَي: تَتَأَخَّرُ عَنْ سِيرِ الْكَوَاكِبِ الْمُعْتَادِ إِلَىٰ جِهَةِ الْمَشْرِقِ،

وَهِيَ النُّجُومُ السَّبْعَةُ السَّيَّارَةُ: «الشَّمْسُ»، و «القَمَرُ»، و «الرَّهْرَةُ»، و «المُشْتَرَى»، و «المَرِيخُ»، و «زُحَلُ»، و «عُطَارِدُ»، فَهَذِهِ السَّبْعَةُ لَهَا سَيْرَانِ: سَيْرٌ إِلَى جِهَةِ الْمَغْرِبِ مَعَ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَالْفَلَكَ، وَسَيْرٌ مُعَاكِسٌ لِهَذَا مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ تَخْتَصُّ بِهِ هَذِهِ السَّبْعَةُ دُونَ غَيْرِهَا.

فَأَقْسَمَ اللَّهُ بِهَا فِي حَالِ خُنُوسِهَا أَي: تَأَخَّرِهَا، وَفِي حَالِ جَرَيَانِهَا، وَفِي حَالِ كُنُوسِهَا أَي: اسْتِتَارِهَا بِالنَّهَارِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا جَمِيعُ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ وَغَيْرِهَا.

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ أَي: أَقْبَلَ وَقِيلَ: أَدْبَرَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ أَي: بَدَتْ عَلَائِمُ الصُّبْحِ، وَانْشَقَّ النُّورُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَسْتَكْمَلَ وَتَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَهَذِهِ آيَاتُ عِظَامٍ، أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عُلُوِّ سِنْدِ الْقُرْآنِ وَجَلَالَتِهِ، وَحِفْظِهِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَهُوَ: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَزَلَ بِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ وَوَصَفَهُ اللَّهُ بِالْكَرِيمِ لِكَرَمِ أَخْلَاقِهِ، وَكَثْرَةِ خِصَالِهِ الْحَمِيدَةِ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ، وَأَعْظَمُهُمْ رُتْبَةً عِنْدَ رَبِّهِ، ذِي قُوَّةٍ عَلَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ. وَمِنْ قُوَّتِهِ أَنَّهُ قَلْبَ دِيَارِ قَوْمٍ لُوَطٍ بِهِمْ فَأَهْلَكَهُمْ.

عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ أَي: جِبْرِيلُ مُقَرَّبٌ عِنْدَ اللَّهِ، لَهُ مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ، وَخِصِيصَةٌ مِنَ اللَّهِ اخْتَصَّ بِهَا، مَكِينٌ أَي: لَهُ مَكَانَةٌ وَمَنْزِلَةٌ فَوْقَ مَنَازِلِ الْمَلَائِكَةِ كُلِّهِمْ.

مُطَاعٌ ثُمَّ أَي: جِبْرِيلُ مُطَاعٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، لِأَنَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُتَقَرَّبِينَ جُنُودًا، نَافِذٌ فِيهِمْ أَمْرُهُ، مُطَاعٌ رَأْيُهُ، أَمِينٌ أَي: ذُو أَمَانَةٍ وَقِيَامٍ بِمَا أَمَرَ بِهِ، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَلَا يَتَعَدَّى مَا حَدَّ لَهُ، وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ الْقُرْآنِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ بَعَثَ بِهِ هَذَا الْمَلِكَ الْكَرِيمَ، الْمَوْصُوفَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ. وَالْعَادَةُ أَنَّ الْمُلُوكَ لَا تُرْسَلُ الْكَرِيمَ عَلَيْهَا إِلَّا فِي أَهَمِّ الْمَهْمَاتِ، وَأَشْرَفِ الرَّسَائِلِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ فَضْلَ الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ الَّذِي جَاءَ بِالْقُرْآنِ، ذَكَرَ فَضْلَ الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَدَعَا إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ: وَمَا صَاحِبِكُمْ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجْنُونٍ كَمَا يَقُولُهُ أَعْدَاؤُهُ الْمُكَذِّبُونَ بِرِسَالَتِهِ، الْمُتَقَوِّلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَالِ، الَّتِي يُرِيدُونَ أَنْ يُظْفِقُوا بِهَا مَا جَاءَ بِهِ، بَلْ هُوَ أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلًا

وَأَجْرُلَهُمْ رَأْيَا، وَأَصْدَفُهُمْ لَهْجَةً.

وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ أَي: رَأَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأَفُقِ الْبَيِّنِ، الَّذِي هُوَ أَعْلَى مَا يَلُوحُ لِلْبَصَرِ.

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ أَي: وَمَا هُوَ عَلَى مَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِمُتَّهَمٍ يَزِيدُ فِيهِ أَوْ يَنْقُصُ أَوْ يَكْتُمُ بَعْضَهُ، بَلْ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِينُ أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ، الَّذِي بَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ الْبَلَاغَ الْمُبِينِ، فَلَمْ يَشْحَ بِشَيْءٍ مِنْهُ، عَنْ غَنِيِّ وَلَا فَقِيرٍ، وَلَا رَيْسٍ وَلَا مَرْءُوسٍ، وَلَا ذَكَرٍ وَلَا أَنْثَى، وَلَا حَضْرِيٍّ وَلَا بَدْوِيٍّ، وَلِذَلِكَ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ، جَاهِلَةٍ جُهَلَاءَ، فَلَمْ يَمُتْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانُوا عُلَمَاءَ رَبَّانِيَّيْنِ، وَأَخْبَارًا مُتَفَرِّسِينَ، إِلَيْهِمُ الْعَايَةُ فِي الْعُلُومِ، وَإِلَيْهِمُ الْمُنتَهَى فِي اسْتِحْرَاجِ الدَّقَائِقِ وَالْمَفْهُومِ، وَهُمْ الْأَسَاتِذَةُ، وَغَيْرُهُمْ قُصَارَاهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِمْ.

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ لَمَّا ذَكَرَ جَلَالَتهُ كِتَابِهِ وَفَضْلَهُ بِذِكْرِ الرُّسُولِينَ الْكَرِيمِينَ، الَّذِينَ وَصَلَ إِلَى النَّاسِ عَلَى أَيْدِيهِمَا، وَأَثَنَى اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِمَا أَثَنَى، دَفَعَ عَنْهُ كُلَّ آفَةٍ وَنَقَصٍ مِمَّا يَقْدَحُ فِي صِدْقِهِ، فَقَالَ: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ أَي: فِي غَايَةِ الْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ قُرْبِهِ، فَأَيَّنَ تَذَهُبُونَ أَي: كَيْفَ يَخْطُرُ هَذَا بِبَالِكُمْ، وَأَيَّنَ عَزَبَتْ عَنْكُمْ أَذْهَانِكُمْ؟ حَتَّى جَعَلْتُمْ الْحَقَّ الَّذِي هُوَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الصِّدْقِ بِمَنْزِلَةِ الْكَذِبِ، الَّذِي هُوَ أَنْزَلُ مَا يَكُونُ وَأَزْدَلُّ وَأَسْفَلُ الْبَاطِلِ؟ هَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ انْقِلَابِ الْحَقَائِقِ. إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ يَتَذَكَّرُونَ بِهِ رَبَّهُمْ، وَمَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمَا يُنَزَّهُ عَنْهُ مِنَ النَّقَائِصِ وَالرَّذَائِلِ وَالْأَمْثَالِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بِهِ الْأَوْامِرَ وَالنَّوَاهِي وَحُكْمَهَا، وَيَتَذَكَّرُونَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْقَدْرِيَّةَ وَالشَّرْعِيَّةَ وَالْجَزَائِيَّةَ، وَبِالْجُمْلَةِ، يَتَذَكَّرُونَ بِهِ مَصَالِحَ الدَّارَيْنِ، وَيَنَالُونَ بِالْعَمَلِ بِهِ السَّعَادَتَيْنِ.

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْعَيِّ، وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَي: فَمَشِيئَتُهُ نَافِذَةٌ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُعَارِضَ أَوْ تُمَانَع. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَأَمْثَالِهَا رَدُّ عَلَى فِرْقَتِي الْقَدْرِيَّةِ النُّفَاةِ، وَالْقَدْرِيَّةِ الْمُجْبِرَةِ كَمَا تَقَدَّمَ مِثْلُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِنْفِطَارِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفطرت وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتثرت وَإِذَا الْبِحَارُ فُجرت وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثرت عَلِمْتَ نَفْسُ مَا قَدَّمْتَ
وَأَخَّرْتَ

أَيُّ: إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ وَاِنْفَطَرَتْ، وَتَنَاطَرَتْ نُجُومُهَا، وَزَالَ جَمَالُهَا، وَفُجِرَتِ الْبِحَارُ فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا،
وَبُعِثِرَتِ الْقُبُورُ بِأَنَّ أُخْرِجَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَحُشِرُوا لِلْمَوْفِقِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِلْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.
فَحِينَئِذٍ يَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ، وَيَزُولُ مَا كَانَ خَفِيًّا، وَتَعَلَّمَ كُلُّ نَفْسٍ مَا مَعَهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْخُسْرَانِ، هُنَالِكَ
يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ إِذَا رَأَى مَا قَدَّمْتَ يَدَاهُ، وَأَيُّقِنَ بِالشَّقَاءِ الْأَبْدِيِّ وَالْعَذَابِ السَّرمَدِيِّ . وَهُنَالِكَ يَفُوزُ
الْمُتَّقُونَ الْمُقَدَّمُونَ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ بِالْفُوزِ الْعَظِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ كَلَّا بَلْ
تُكذِّبُونَ بِالذِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ

يَقُولُ تَعَالَى مُعَاتِبًا لِلْإِنْسَانِ الْمُقْصِرِ فِي حَقِّ رَبِّهِ، الْمُتَجَرِّئِ عَلَى مَعَاصِيهِ : يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ أَتَهَاوَنَّا مِنْكَ فِي حُقُوقِهِ؟ أَمْ احْتِقَارًا مِنْكَ لِعَذَابِهِ؟ أَمْ عَدَمَ إِيمَانٍ مِنْكَ بِجَزَائِهِ؟

أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ؟ فَعَدَلَكَ وَرَكَّبَكَ تَرْكِيبًا قَوِيمًا مُعْتَدِلًا فِي أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ،
وَأَجْمَلِ الْهَيْئَاتِ، فَهَلْ يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَكْفُرَ نِعْمَةَ الْمُنْعِمِ، أَوْ تَجْحَدَ إِحْسَانَ الْمُحْسِنِ؟

إِنَّ هَذَا إِلَّا مِنْ جَهْلِكَ وَظُلْمِكَ وَعِنَادِكَ وَعُشْمِكَ، فَاحْمَدِ اللَّهَ أَنْ لَمْ يَجْعَلْ صُورَتَكَ صُورَةَ كَلْبٍ أَوْ حِمَارٍ،

أَوْ نَحْوَهُمَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ؛ فَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ

وَقَوْلُهُ: كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالدِّينِ أَيُّ: مَعَ هَذَا الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ، لَا تَزَالُونَ مُسْتَمِرِّينَ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْجَزَاءِ.

وَأَنْتُمْ لَا بُدَّ أَنْ تُحَاسِبُوا عَلَى مَا عَمِلْتُمْ، وَقَدْ أَقَامَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَلَائِكَةً كِرَامًا يَكْتُبُونَ أَقْوَالَكُمْ وَأَفْعَالَكُمْ وَيَعْلَمُونَهَا، وَدَخَلَ فِي هَذَا أَفْعَالُ الْقُلُوبِ، وَأَفْعَالُ الْجَوَارِحِ، فَاللَّائِقُ بِكُمْ أَنْ تُكْرِمُوهُمْ وَتُجِلُّوهُمْ وَتَحْتَرِمُوهُمْ.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ

الْمُرَادُ بِالْأَبْرَارِ، الْقَائِمُونَ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، الْمَلَاذِمُونَ لِلْبِرِّ، فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، فَهَؤُلَاءِ جَزَاؤُهُمُ النَّعِيمُ فِي الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْبَدَنِ، فِي دَارِ الدُّنْيَا وَفِي دَارِ الْبَرَزِخِ وَفِي دَارِ الْقَرَارِ.

وَإِنَّ الْفُجَّارَ الَّذِينَ قَصَرُوا فِي حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، الَّذِينَ فَجَرَتْ قُلُوبُهُمْ فَفَجَرَتْ أَعْمَالُهُمْ لَفِي جَحِيمٍ أَيُّ: عَذَابٍ أَلِيمٍ، فِي دَارِ الدُّنْيَا وَ دَارِ الْبَرَزِخِ وَفِي دَارِ الْقَرَارِ.

يَصْلَوْنَهَا وَيُعَذَّبُونَ بِهَا أَشَدَّ الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ أَيُّ: يَوْمَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ أَيُّ: بَلْ هُمْ مُلَاذِمُونَ لَهَا، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ فِي هَذَا تَهْوِيلٌ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الَّذِي يُحْيِي الْأَذْهَانَ.

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَلَوْ كَانَتْ قَرِيبَةً أَوْ حَبِيبَةً مُصَافِيَةً، فَكُلُّ مُشْتَغِلٍ بِنَفْسِهِ لَا يَطْلُبُ الْفِكَاكَ لِعِيبِهَا. وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ فَهُوَ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ حَقَّهُ مِنْ ظَالِمِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُطَفِّينِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وَيْلٌ كَلِمَةٌ عَذَابٍ، وَعِقَابٍ لِّلْمُطَفِّفِينَ

وَفَسَّرَ اللَّهُ الْمُطَفِّفِينَ بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ أَي: أَخَذُوا مِنْهُمْ وَفَاءً عَمَّا تَبَتَّ لَهُمْ قَبْلَهُمْ يَسْتَوْفُونَهُ كَامِلًا مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزَنُوا لَهُمْ أَي: إِذَا أَعْطُوا النَّاسَ حَقَّهُمْ، الَّذِي لَهُمْ عَلَيْهِمْ بِكَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ، يُخْسِرُونَ أَي: يَنْقُصُونَهُمْ ذَلِكَ، إِمَّا بِمِكَيَالٍ وَمِيزَانٍ نَاقِصِينَ، أَوْ بِعَدَمِ مَلْءِ الْمِكَيَالِ وَالْمِيزَانِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. فَهَذَا سَرِقَةٌ لِأَمْوَالِ النَّاسِ، وَعَدَمُ انْصَافٍ لَهُمْ مِنْهُمْ. وَإِذَا كَانَ هَذَا وَعِيدًا عَلَى الَّذِينَ يَبْخَسُونَ النَّاسَ بِالْمِكَيَالِ وَالْمِيزَانِ، فَالَّذِي يَأْخُذُ أَمْوَالَهُمْ قَهْرًا أَوْ سَرِقَةً، أَوْلَىٰ بِهِذَا الْوَعِيدِ مِنَ الْمُطَفِّفِينَ.

وَدَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ كَمَا يَأْخُذُ مِنَ النَّاسِ الَّذِي لَهُ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ كُلَّ مَا لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمُعَامَلَاتِ، بَلْ يَدْخُلُ فِي عُمُومِ هَذَا الْحُجْجِ وَالْمَقَالَاتِ، فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّ الْمُتَنَاطِرِينَ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحْرِصُ عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْحُجْجِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يُبَيِّنَ مَا لِخَصْمِهِ مِنَ الْحُجَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا، وَأَنْ يَنْظُرَ فِي أدَلَّةِ خَصْمِهِ كَمَا يَنْظُرُ فِي أدَلَّتِهِ هُوَ، وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ يُعْرَفُ انْصَافُ الْإِنْسَانِ مِنْ تَعْصِبِهِ وَاعْتِسَافِهِ، وَتَوَاضُعِهِ مِنْ كِبَرِهِ، وَعَقْلُهُ مِنْ سَفَهِهِ، نَسَأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لِكُلِّ خَيْرٍ.

ثُمَّ تَوَعَّدَ تَعَالَى الْمُطَفِّفِينَ، وَتَعَجَّبَ مِنْ حَالِهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَالَّذِي جَرَّأَهُمْ عَلَى التَّطْفِيفِ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ،

وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَعَنَّا عَلَيْهِمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَعَنَّا عَلَيْهِمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَعَنَّا عَلَيْهِمْ، لَأَقْلَعُوا عَنْ ذَلِكَ وَتَابُوا مِنْهُ.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ كِتَابٌ مَرْفُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ

يَقُولُ تَعَالَى: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ وَهَذَا شَامِلٌ لِكُلِّ فَاجِرٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَالْفَاسِقِينَ لَفِي سَجِّينٍ

ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ كِتَابٌ مَرْفُومٌ أَي: كِتَابٌ مَذْكُورٌ فِيهِ أَعْمَالُهُمْ الْخَبِيثَةُ، وَالسَّجِّينُ: الْمَحَلُّ الضَّيِّقُ الضَّنْكَ، وَ سَجِّينٍ ضِدُّ عَلِيَيْنَ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ كِتَابِ الْأَبْرَارِ، كَمَا سَيَأْتِي.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ سَجِّينٍ هُوَ أَسْفَلُ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، مَاوَى الْفُجَّارِ وَمُسْتَقَرُّهُمْ فِي مَعَادِهِمْ.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ثُمَّ بَيَّنَّهُمْ بِقَوْلِهِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ أَي: يَوْمَ الْجَزَاءِ، يَوْمَ يَدِينُ اللَّهُ النَّاسَ فِيهِ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ عَلَىٰ مَحْرَمٍ اللَّهِ، مُتَعَدٌّ مِنَ الْحَلَالِ إِلَىٰ الْحَرَامِ.

أَثِيمٌ أَي كَثِيرِ الْإِثْمِ، فَهَذَا الَّذِي يَحْمِلُهُ عُدْوَانُهُ عَلَى التَّكْذِيبِ، وَيَحْمِلُهُ عُدْوَانُهُ عَلَى التَّكْذِيبِ وَيُوجِبُ لَهُ كِبْرَهُ رَدَّ الْحَقِّ، وَلِهَذَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا الدَّالَّةُ عَلَى الْحَقِّ، وَعَلَى صِدْقِ مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ، كَذَّبَهَا وَعَانَدَهَا، وَقَالَ هَذِهِ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَي: مِنْ تُرَاهَاتِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَأَخْبَارِ الْأُمَمِ الْغَابِرِينَ، لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَكْبُرًا وَعِنَادًا.

وَأَمَّا مَنْ أَنْصَفَ، وَكَانَ مَقْصُودُهُ الْحَقَّ الْمُبِينَ، فَإِنَّهُ لَا يُكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَقَامَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ، وَالْبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ، مَا يَجْعَلُهُ حَقًّا لِقُلُوبِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ لِلْأَبْصَارِ، بِخِلَافِ مَنْ رَانَ عَلَى قَلْبِهِ كَسْبُهُ، وَعَظَّتْهُ مَعَاصِيهِ، فَإِنَّهُ مَحْجُوبٌ عَنِ الْحَقِّ، وَلِهَذَا جُوزِيَ عَلَى ذَلِكَ، بِأَنْ حُجِبَ عَنِ اللَّهِ، كَمَا حُجِبَ قَلْبُهُ فِي الدُّنْيَا عَنِ آيَاتِ اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَعَ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ الْبَلِيغَةِ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَقْرِيعًا: هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ فَذَكَرَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ: عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَعَذَابِ التَّوْبِيخِ، وَاللَّوْمِ.

وَعَذَابِ الْحِجَابِ عَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُتَضَمِّنُ لِسُخْطِهِ وَغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ أَعْظَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَدَلَّ مَفْهُومُ الْآيَةِ، عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي الْجَنَّةِ، وَيَتَلَدَّدُونَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ أَعْظَمَ مِنْ سَائِرِ اللَّذَاتِ، وَيَتَهَجَّجُونَ بِخَطَابِهِ، وَيَفْرَحُونَ بِقُرْبِهِ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَتَوَاتَرَ فِيهِ النُّقْلُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ، التَّحْذِيرُ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهَا تَرِينُ عَلَى الْقَلْبِ وَتُعْطِيهِ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى يَنْطَمِسَ نُورُهُ، وَتَمُوتَ بَصِيرَتُهُ، فَتَنْقَلِبُ عَلَيْهِ الْحَقَائِقُ، فَيَرَى الْبَاطِلَ حَقًّا، وَالْحَقَّ بَاطِلًا وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ

لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ فِي أَسْفَلِ الْأَمْكِنَةِ وَأَضْيَقَهَا، ذَكَرَ أَنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ فِي أَعْلَاهَا وَأَوْسَعَهَا، وَأَفْسَحَهَا وَأَنَّ كِتَابَهُمُ الْمَرْقُومَ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ، وَأَرْوَاحِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، وَيُنَوِّهُ اللَّهُ بِذِكْرِهِمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَعِلِّيُّونَ اسْمٌ لِأَعْلَى الْجَنَّةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ كِتَابَهُمْ، ذَكَرَ أَنَّهُمْ فِي نَعِيمٍ، وَهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِنَعِيمِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْبَدَنِ، عَلَى الْأَرَائِكِ أَيُّ: عَلَى السُّرُرِ الْمُزَيَّنَةِ بِالْفُرُشِ الْحَسَنِ.

يَنْظُرُونَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِمُ الْكَرِيمِ، تَعْرِفُ أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ

النَّعِيمِ أَي: بَهَاءُهُ وَنَضَارَتُهُ وَرَوْنَقُهُ، فَإِنَّ تَوَالِي اللَّذَاتِ وَالْمَسْرَاتِ وَالْأَفْرَاحِ يُكْسِبُ الْوَجْهَ نُورًا وَحُسْنًا وَبَهْجَةً.

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَشْرِبَةِ وَالذَّهَاءِ، مَخْتُومٍ

ذَلِكَ الشَّرَابِ خِتَامُهُ مِسْكٌ يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ مَخْتُومٌ عَنْ أَنْ يُدَاخِلَهُ شَيْءٌ يُنْقِصُ لَذَّتَهُ، أَوْ يُفْسِدُ طَعْمَهُ، وَذَلِكَ الْخِتَامُ، الَّذِي خُتِمَ بِهِ، مِسْكٌ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ الَّذِي يَكُونُ فِي آخِرِ الْإِنَاءِ، الَّذِي يَشْرَبُونَ مِنْهُ الرَّحِيقَ حُثَالَةً، وَهِيَ الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، فَهَذَا الْكَدْرُ مِنْهُ، الَّذِي جَرَتْ الْعَادَةُ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ يُرَاقُ، يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، وَفِي ذَلِكَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، الَّذِي لَا يَعْلَمُ حُسْنَهُ وَمِقْدَارَهُ إِلَّا اللَّهُ، فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ أَي: فَلْيَتَسَابَقُوا فِي الْمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَيْهِ، فَهَذَا أَوْلَى مَا بُدِلَتْ فِيهِ نَفَائِسُ الْأَنْفَاسِ، وَأُخْرَى مَا تَرَاخَمَتْ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ فُحُولُ الرَّجَالِ.

وَمَزَاجُ هَذَا الشَّرَابِ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَهِيَ عَيْنٌ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وَهِيَ أَعْلَى أَشْرِبَةِ الْجَنَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَلِذَلِكَ كَانَتْ خَالِصَةً لِلْمُقَرَّبِينَ، الَّذِينَ هُمْ أَعْلَى الْخَلْقِ مَنْزِلَةً، وَمَمْرُوجَةٌ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ أَي: مَخْلُوطَةٌ بِالرَّحِيقِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَشْرِبَةِ اللَّذِيذَةِ.

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ نُؤِوبُ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى جَزَاءَ الْمُجْرِمِينَ وَجَزَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاوُتِ الْعَظِيمِ، أَخْبَرَ أَنَّ الْمُجْرِمِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَسْخَرُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ، وَيَضْحَكُونَ مِنْهُمْ، وَيَتَغَامَزُونَ بِهِمْ عِنْدَ مُرُورِهِمْ عَلَيْهِمْ، احْتِقَارًا لَهُمْ وَازْدِرَاءً، وَمَعَ هَذَا تَرَاهُمْ مُطْمَئِنِّينَ، لَا يَخْطُرُ الْخَوْفُ عَلَى بَالِهِمْ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ صَبَاحًا أَوْ مَسَاءً انْقَلَبُوا فَكِهِينَ أَي: مَسْرُورِينَ مُغْتَبِطِينَ، وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ الْإِغْتِرَارِ، أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ غَايَةِ الْإِسَاءَةِ مَعَ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى كَانَتْهُمْ قَدْ جَاءَهُمْ كِتَابٌ وَعَهْدٌ مِنَ اللَّهِ، أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَقَدْ

حَكِّمُوا لِأَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْهُدَى، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ ضَالُّونَ، افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، وَتَجَرُّوا عَلَى الْقَوْلِ عَلَيْهِ بِلاَ عِلْمٍ.

قَالَ تَعَالَى: وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ أَي: وَمَا أُرْسِلُوا وَكَلَاءً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مُلْزَمِينَ بِحِفْظِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّى يَحْرِصُوا عَلَى رَمِيهِمْ بِالضَّلَالِ، وَمَا هَذَا مِنْهُمْ إِلَّا تَعَثُّتْ وَعِنَادٌ وَتَلَاعُبٌ، لَيْسَ لَهُ مُسْتَنْدٌ وَلَا بُرْهَانٌ، وَلِهَذَا كَانَ جَزَاؤُهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: فَالْيَوْمَ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ حِينَ يَرَوْنَهُمْ فِي غَمَرَاتِ الْعَذَابِ يَتَقَلَّبُونَ، وَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ، وَالْمُؤْمِنُونَ فِي غَايَةِ الرَّاحَةِ وَالطَّمَأِينَةِ .

عَلَى الْأَرَائِكِ وَهِيَ السُّرُرُ الْمُزَيَّنَةُ، يَنْظُرُونَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِمُ الْكَرِيمِ.

هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ أَي: هَلْ جُوزُوا مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِمْ؟ فَكَمَا ضَحِكُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَمَوْهُمْ بِالضَّلَالِ، ضَحِكَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ، حِينَ رَأَوْهُمْ فِي الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، الَّذِي هُوَ عُقُوبَةُ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ.

نَعَمْ، تُؤَبُّوْا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، عَدْلًا مِنَ اللَّهِ وَحِكْمَةً، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِنْشِقَاقِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَاqِيهِ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا

يَقُولُ تَعَالَىٰ مُبَيِّنًا لِمَا يَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَجْرَامِ الْعُظَامِ: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ أَي: انْفَطَرَتْ وَتَمَازَيْزَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَانْتَشَرَتْ نُجُومُهَا، وَخُسِفَ بِشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا.

وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا أَي: اسْتَمَعَتْ لِأَمْرِهِ، وَأَلْقَتْ سَمْعَهَا، وَأَصَاخَتْ لِخِطَابِهِ، وَحَقَّ لَهَا ذَلِكَ، فَإِنَّهَا مُسْخَرَةٌ مُدْبَّرَةٌ تَحْتَ مُسْخِرٍ مَلِكٍ عَظِيمٍ، لَا يُعْصَىٰ أَمْرُهُ، وَلَا يُخَالَفُ حُكْمُهُ.

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ أَي: رُجِفَتْ وَارْتَجَّتْ، وَنُسِفَتْ عَلَيْهَا جِبَالُهَا، وَذُكَّ مَا عَلَيْهَا مِنْ بِنَاءٍ وَمَعْلَمٍ، فَسُوِّتْ، وَمَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ مَدًّا أَدِيمًا، حَتَّىٰ صَارَتْ وَاسِعَةً جَدًّا، تَسْعُ أَهْلَ الْمَوْقِفِ عَلَىٰ كَثْرَتِهِمْ، فَتَصِيرُ قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْكُنُوزِ.

وَتَخَلَّتْ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتُخْرَجُ الْأَمْوَاتُ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَتُخْرَجُ الْأَرْضُ كُنُوزُهَا، حَتَّىٰ تَكُونَ كَالِإِسْطُوَانِ الْعَظِيمِ، يُشَاهِدُهُ الْخَلْقُ، وَيَتَحَسَّرُونَ عَلَىٰ مَا هُمْ فِيهِ يَتَنَافَسُونَ، وَأَذْنَتْ

لرَبِّهَا وَحَقَّتْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ أَيُّ: إِنَّكَ سَاعٍ إِلَى اللَّهِ، وَعَامِلٌ بِأُومِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَمُتَقَرِّبٌ إِلَيْهِ إِمَّا بِالْخَيْرِ وَإِمَّا بِالشَّرِّ، ثُمَّ تُلَاقِي اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تَعْدَمُ مِنْهُ جَزَاءً بِالْفَضْلِ إِنْ كُنْتَ سَعِيدًا، وَبِالْعُقُوبَةِ إِنْ كُنْتَ شَقِيًّا .

وَلِهَذَا ذَكَرَ تَفْصِيلَ الْجَزَاءِ، فَقَالَ: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَهُمْ أَهْلُ السَّعَادَةِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَهُوَ الْعَرْضُ الْيَسِيرُ عَلَى اللَّهِ، فَيَقْرَرُهُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ الْعَبْدُ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: «إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَسْتُرُهَا لَكَ الْيَوْمَ». وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ مَسْرُورًا لِأَنَّهُ نَجَا مِنَ الْعَذَابِ وَفَازَ بِالثَّوَابِ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ أَيُّ: بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ .

فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا مِنَ الْخِزْيِ وَالْفُضِيحَةِ، وَمَا يَجِدُ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي قَدَّمَهَا وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا، وَيَصَلَّى سَعِيرًا أَيُّ: تُحِيطُ بِهِ السَّعِيرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَيُقَلَّبُ عَلَى عَذَابِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي الدُّنْيَا كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا لَا يَخْطُرُ الْبُعْثُ عَلَى بَالِهِ، وَقَدْ أَسَاءَ، وَلَا يَظُنُّ أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى رَبِّهِ وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ.

بَلَى إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا فَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَتْرَكَهُ سُدًى، لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى، وَلَا يُثَابُ وَلَا يُعَاقَبُ.

فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ لَتَرَكِبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ

أَقْسَمَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِآيَاتِ اللَّيْلِ، فَأَقْسَمَ بِالشَّفَقِ الَّذِي هُوَ بَقِيَّةُ نُورِ الشَّمْسِ، الَّذِي هُوَ مُفْتَتِحُ اللَّيْلِ.

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ أَيُّ: احْتَوَى عَلَيْهِ مِنْ حَيَوَانَاتٍ وَغَيْرِهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ أَيُّ: امْتَلَأَ نُورًا بِإِبْدَارِهِ، وَذَلِكَ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ وَأَكْثَرُ مَنَافِعَ، وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: لَتَرَكِبَنَّ أَيُّ: أَيُّهَا النَّاسُ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ أَيُّ: أَطْوَارًا مُتَعَدِّدَةً وَأَحْوَالًا مُتَبَايِنَةً، مِنَ النُّطْفَةِ إِلَى الْعَلَقَةِ، إِلَى الْمُضْغَةِ، إِلَى نَفْخِ الرُّوحِ، ثُمَّ يَكُونُ وَلِيدًا وَطِفْلًا وَمُمَيَّرًا، ثُمَّ

يَجْرِي عَلَيْهِ قَلَمُ التَّكْلِيفِ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، ثُمَّ يَمُوتُ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ وَيُجَازَى بِأَعْمَالِهِ، فَهَذِهِ الطَّبَقَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ الْجَارِيَةُ عَلَى الْعَبْدِ، دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ، الْمُوَحَّدُ، الْمُدَبِّرُ لِعِبَادِهِ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ فَقِيرٌ عَاجِزٌ، تَحْتَ تَدْبِيرِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، وَمَعَ هَذَا، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ.

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ أَيُّ: لَا يَخْضَعُونَ لِلْقُرْآنِ، وَلَا يَنْقَادُونَ لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكذِّبُونَ أَيُّ: يُعَانِدُونَ الْحَقَّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ، فَلَا يُسْتَعْرَبُ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ وَعَدَمُ وَاثِقِيادِهِمْ لِلْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْمُكذِّبَ بِالْحَقِّ عِنَادًا، لَا حِيلَةَ فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ أَيُّ: بِمَا يَعْمَلُونَهُ وَيَنْوُونَهُ سِرًّا، فَاللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ، وَسَيَجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَسُمِّيَتِ الْبِشْرَةُ بِشَارَةً، لِأَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي الْبَشْرَةِ سُورًا أَوْ غَمًّا.

فَهَذِهِ حَالُ أَكْثَرِ النَّاسِ، التَّكْذِيبُ بِالْقُرْآنِ، وَعَدَمُ الْإِيمَانِ بِهِ .

وَمِنَ النَّاسِ فَرِيقٌ هَدَاهُمُ اللَّهُ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ، وَقَبِلُوا مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، فَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ أَيُّ: غَيْرُ مَقْطُوعٍ بَلْ هُوَ أَجْرٌ دَائِمٌ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ السُّورَةِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبُرُوجِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْعَفُورُ الْوُدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ أَيُّ: ذَاتِ الْمَنَازِلِ الْمُشْتَمَلَةِ عَلَىٰ مَنَازِلِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالْكَوَاكِبِ الْمُنتَظِمَةِ فِي سِيرِهَا، عَلَىٰ أَكْمَلِ تَرْتِيبٍ وَنِظَامٍ دَالٌّ عَلَىٰ كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَرَحْمَتِهِ، وَسِعَةِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ الْخَلْقَ أَنْ يَجْمَعَهُمْ فِيهِ، وَيَضُمُّ فِيهِ أَوْلَهُمْ وَأَخْرَهُمْ، وَقَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ، الَّذِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ، وَلَا يُخْلِفَ اللَّهُ الْمِيعَادَ.

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ وَشَمَلَ هَذَا كُلٌّ مَنِ اتُّصِفَ بِهَذَا الْوَصْفِ أَيُّ: مُبْصِرٍ وَمُبْصَرٍ، وَحَاضِرٍ وَمَحْضُورٍ، وَرَأٍ وَمَرْتَبٍ.

وَالْمُقَسَّمُ عَلَيْهِ، مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْقِسْمُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْبَاهِرَةِ، وَحِكْمِهِ الظَّاهِرَةِ، وَرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ وَهَذَا دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ.

وَالْأُخْدُودِ الْحُفْرُ الَّتِي تُحْفَرُ فِي الْأَرْضِ. وَكَانَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ هَؤُلَاءِ قَوْمًا كَافِرِينَ، وَلَدَيْهِمْ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ، فَرَاوَدُوهُمْ عَلَى الدُّخُولِ فِي دِينِهِمْ، فَاُمْتَنَعَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَشَقَّ الْكَافِرُونَ أُخْدُودًا فِي الْأَرْضِ، وَقَدَفُوا فِيهَا النَّارَ، وَقَعَدُوا حَوْلَهَا، وَفَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَضُوا لَهُمْ عَلَيْهَا، فَمَنْ اسْتَجَابَ لَهُمْ أَطْلَقُوهُ، وَمَنْ اسْتَمَرَ عَلَى الْإِيمَانِ قَدَفُوهُ فِي النَّارِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْمُحَارَبَةِ لِلَّهِ وَلِحِزْبِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِهَذَا لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَأَهْلَكَهُمْ وَتَوَعَّدَهُمْ فَقَالَ: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ثُمَّ فَسَّرَ الْأُخْدُودَ بِقَوْلِهِ: النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ مِنَ التَّجْبُرِ وَقَسَاوَةِ الْقَلْبِ، لِأَنََّّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الْكُفْرِ بآيَاتِ اللَّهِ وَمَعَانِدَتِهَا، وَمُحَارَبَةِ أَهْلِهَا وَتَعَذُّبِهِمْ بِهَذَا الْعَذَابِ، الَّذِي تَنْفَطِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَحُضُورُهُمْ إِيَّاهُمْ عِنْدَ الْفَقَائِهِمْ فِيهَا، وَالْحَالُ أَنََّّهُمْ مَا نَقَمُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَالَةً يُمْدَحُونَ عَلَيْهَا، وَبِهَا سَعَادَتُهُمْ، وَهِيَ أَنََّّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ أَيُّ: الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ الَّتِي قَهَرَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ حَمِيدٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَوْصَافِهِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقًا وَعَبِيدًا، يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ عِلْمًا وَسَمْعًا وَبَصَرًا، أَفَلَا خَافَ هَؤُلَاءِ الْمُتَمَرِّدُونَ عَلَيْهِ، أَنْ يَأْخُذَهُمُ الْعَزِيزُ الْمُفْتَدِرُ، أَوْ مَا عَلِمُوا أَنََّّهُمْ مَمَالِكُ لِلَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ سُلْطَةٌ، مِنْ دُونِ إِذْنِ الْمَالِكِ؟ أَوْ خَفِيَ عَلَيْهِمْ أَنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِأَعْمَالِهِمْ، مُجَازِيهِمْ عَلَى فِعَالِهِمْ؟ كَلَّا إِنَّ الْكَافِرَ فِي غُرُورٍ، وَالْجَاهِلَ فِي عَمَى وَضَلَالٍ عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

ثُمَّ وَعَدَهُمْ، وَأَوْعَدَهُمْ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةَ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ أَيُّ: الْعَذَابُ الشَّدِيدُ الْمُحْرِقُ. قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الْكِرَمِ وَالْجُودِ، هُمْ قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ عُقُوبَةَ الظَّالِمِينَ، ذَكَرَ ثَوَابَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ الْفَوْزُ بِرِضَا اللَّهِ وَدَارِ كَرَامَتِهِ.

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ أَيُّ: إِنَّ عُقُوبَتَهُ لِأَهْلِ الْجَرَائِمِ وَالذُّنُوبِ الْعِظَامِ لَقَوِيَّةٌ شَدِيدَةٌ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ

إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ أَيُّ: هُوَ الْمُنفِرِدُ بِإِبْدَاءِ الْخَلْقِ وَإِعَادَتِهِ، فَلَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ مُشَارِكٌ، وَهُوَ الْغُفُورُ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا لِمَنْ تَابَ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ لِمَنْ اسْتَغْفَرَهُ وَأَنَابَ.

الْوُدُودُ الَّذِي يُحِبُّهُ أَحْبَابُهُ مَحَبَّةً لَا يُشَبِّهُهَا شَيْءٌ فَكَمَا أَنَّهُ لَا يُشَابِهُهُ شَيْءٌ فِي صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، وَالْمَعَانِي وَالْأَفْعَالِ، فَمَحَبَّتُهُ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ خَلْقِهِ، التَّابِعَةِ لِذَلِكَ، لَا يُشَبِّهُهَا شَيْءٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَحَابِّ، وَلِهَذَا كَانَتْ مَحَبَّتُهُ أَصْلَ الْعُبُودِيَّةِ، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَتَقَدَّمُ جَمِيعَ الْمَحَابِّ وَتَغْلِبُهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُهَا تَبَعًا لَهَا، كَانَتْ عَذَابًا عَلَى أَهْلِهَا، وَهُوَ تَعَالَى الْوُدُودُ، الْوَادُّ لِأَحْبَابِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ وَالْمَوَدَّةُ هِيَ الْمَحَبَّةُ الصَّافِيَّةُ، وَفِي هَذَا سِرٌّ لَطِيفٌ، حَيْثُ قَرَنَ الْوُدُودُ بِالْغُفُورِ، لِيَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الذُّنُوبِ إِذَا تَابُوا إِلَى اللَّهِ وَأَنَابُوا، غَفَرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ وَأَحَبَّهُمْ، فَلَا يُقَالُ: بَلَّ تَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْوُدُّ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَالِمِينَ.

بَلَّ اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ، مِنْ رَجُلٍ لَهُ رَاحِلَةٌ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ، فَأَصْلَحَهَا فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ مُهْلِكَةٍ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَصْطَبَعَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، إِذَا رَاحِلَتُهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَأَخَذَ بِخَطَامِهَا، فَاللَّهُ أَعْظَمُ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ، وَهَذَا أَعْظَمُ فَرَحٍ يُقَدَّرُ.

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ، وَصَفُو الْوِدَادِ، مَا أَعْظَمَ بَرَّهُ، وَأَكْثَرَ خَيْرَهُ، وَأَغْزَرَ إِحْسَانَهُ، وَأَوْسَعَ امْتِنَانَهُ»

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ أَيُّ: صَاحِبُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الَّذِي مِنْ عَظَمَتِهِ، أَنَّهُ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْكَرْسِيِّ، فَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَرْشِ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاةٍ، بِالنِّسْبَةِ لِسَائِرِ الْأَرْضِ، وَخَصَّ اللَّهُ الْعَرْشَ بِالذِّكْرِ، لِعَظَمَتِهِ، وَلِأَنَّهُ أَخْصَّ الْمَخْلُوقَاتِ بِالْقُرْبِ مِنْهُ تَعَالَى، وَهَذَا عَلَى قِرَاءَةِ الْجَرِّ، يَكُونُ الْمَجِيدُ نَعْتًا لِلْعَرْشِ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ نَعْتًا لِلَّهِ، وَالْمَجْدُ سِعَةُ الْأَوْصَافِ وَعَظَمَتُهَا.

فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ أَيُّ: مَهْمَا أَرَادَ شَيْئًا فَعَلَهُ، إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ فِعَالًا لِمَا يُرِيدُ إِلَّا اللَّهُ. فَإِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَوْ أَرَادَتْ شَيْئًا، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِأِرَادَتِهَا مِنْ مُعَاوِنٍ وَمُمَانِعٍ، وَاللَّهُ لَا مُعَاوِنَ لِأِرَادَتِهِ، وَلَا مُمَانِعَ

لَهُ مِمَّا أَرَادَ.

ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ أَفْعَالِهِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ، فَقَالَ: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ وَكَيْفَ كَذَّبُوا الْمُرْسَلِينَ، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمُهْلَكِينَ.

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ أَيِّ: لَا يَزَالُونَ مُسْتَمِرِّينَ عَلَى التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ، لَا تَنْفَعُ فِيهِمُ الْآيَاتُ، وَلَا تُجْدِي لَدَيْهِمُ الْعِظَاتُ.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ أَيُّ: قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ عِلْمًا وَقُدْرَةً، كَقَوْلِهِ: إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ فِيهِهِ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِلْكَافِرِينَ، مِنْ عُقُوبَةٍ مَنْ هُمْ فِي قَبْضَتِهِ، وَتَحْتَ تَدْبِيرِهِ.

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ أَيُّ: وَسِعُ الْمَعَانِي عَظِيمُهَا، كَثِيرُ النِّخِيرِ وَالْعِلْمِ.

فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ، وَمَحْفُوظٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَهُوَ: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ الَّذِي قَدْ أَثْبَتَ اللَّهُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَلَالَةِ الْقُرْآنِ وَجَزَالَتِهِ، وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

تَمَّ تَفْسِيرُهَا.

تَمَّ تَفْسِيرُ السُّورَةِ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الطَّارِقِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلٌ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوَيْدًا

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ

ثُمَّ فَسَّرَ الطَّارِقَ بِقَوْلِهِ: النَّجْمُ الثَّاقِبُ

أَي: الْمُضِيِّ، الَّذِي يَثْقُبُ نُورُهُ، فَيَخْرُقُ السَّمَاوَاتِ فَيَنْفُذُ حَتَّى يَرَى فِي الْأَرْضِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ اسْمُ جِنْسٍ يَشْمَلُ سَائِرَ النُّجُومِ التَّوَاقِبِ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ «زُحَلُ الَّذِي يَخْرُقُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَيَنْفُذُهَا فَيَرَى مِنْهَا. وَسُمِّيَ طَارِقًا، لِأَنَّهُ يَطْرُقُ لَيْلًا.

وَالْمَقْسَمُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ يَحْفَظُ عَلَيْهَا أَعْمَالَهَا الصَّالِحَةَ وَالسَّيِّئَةَ، وَسَتُجَازَى بِعَمَلِهَا الْمَحْفُوظِ عَلَيْهَا.

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ أَي: فَلْيَتَدَبَّرْ خَلْقَتَهُ وَمَبْدَأَهُ، فَإِنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ وَهُوَ: الْمَنِيُّ الَّذِي يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ، وَهِيَ تَدْيَاهَا.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ الْمَنِيِّ الدَّافِقَ، وَهُوَ مَنِيُّ الرَّجُلِ، وَأَنَّ مَحَلَّهُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ مَا بَيْنَ صُلْبِهِ وَتَرَائِيهِ، وَلَعَلَّ هَذَا أَوْلَى، فَإِنَّهُ إِنَّمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْمَاءَ الدَّافِقَ، الَّذِي يَحْسُ بِهِ وَيُشَاهِدُ دَفْقَهُ، هُوَ مَنِيُّ الرَّجُلِ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ التَّرَائِبِ فَإِنَّهَا تُسْتَعْمَلُ فِي الرَّجُلِ، فَإِنَّ التَّرَائِبَ لِلرَّجُلِ، بِمَنْزِلَةِ الثَّدْيَيْنِ لِلْأُنْثَى، فَلَوْ أُرِيدَتِ الْأُنْثَى لَقِيلَ: «مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالثَّدْيَيْنِ» وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَالَّذِي أَوْجَدَ الْإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ الصَّعْبِ، قَادِرٌ عَلَى رَجْعِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِعَادَتِهِ لِبُعْثِهِ، وَالنُّشُورِ وَالْجَزَاءِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ، أَنَّ اللَّهَ عَلَى رَجْعِ الْمَاءِ الْمَدْفُوقِ فِي الصُّلْبِ لِقَادِرٍ، وَهَذَا - وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى صَحِيحًا - فَلَيْسَ هُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ أَيُّ: تُحْتَبَرُ سَرَائِرُ الصُّدُورِ، وَيُظْهِرُ مَا كَانَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ عَلَى صَفَحَاتِ الْوُجُوهِ قَالَ تَعَالَى: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ فِي الدُّنْيَا، تَنَكَّتُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَا تَظْهَرُ عَيْنَانَا لِلنَّاسِ، وَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُظْهِرُ بِرُّ الْأَبْرَارِ، وَفُجُورُ الْفُجَّارِ، وَتَصِيرُ الْأُمُورُ عَلَانِيَةً.

فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ يَدْفَعُ بِهَا وَلَا نَاصِرٍ مِنْ خَارِجٍ يَنْتَصِرُ بِهِ، فَهَذَا الْقَسَمُ عَلَى حَالَةِ الْعَامِلِينَ وَقَتِ عَمَلِهِمْ وَعِنْدَ جَزَائِهِمْ.

ثُمَّ أَقْسَمَ قِسْمًا ثَانِيًا عَلَى صِحَّةِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ أَيُّ: تَرْجِعُ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ كُلِّ عَامٍ، وَتَنْصَدِعُ الْأَرْضُ لِلنَّبَاتِ، فَيَعِيشُ بِذَلِكَ الْأَدْمِيُونَ وَالْبَهَائِمُ، وَتَرْجِعُ السَّمَاءُ أَيْضًا بِالْأَقْدَارِ وَالشُّؤُونَ الْإِلَهِيَّةِ كُلِّ وَقْتٍ، وَتَنْصَدِعُ الْأَرْضُ عَنِ الْأَمْوَاتِ، إِنَّهُ أَيُّ: الْقُرْآنُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ أَيُّ: حَقٌّ وَصِدْقٌ بَيْنٌ وَاضِحٌ.

وَمَا هُوَ بِالْهَزَلِ أَيُّ: جَدُّ لَيْسَ بِالْهَزَلِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ الطَّوَائِفِ وَالْمَقَالَاتِ، وَتَنْفَصِلُ بِهِ الْخُصُومَاتُ.

إِنَّهُمْ أَيُّ: الْمُكَذِّبِينَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِلْقُرْآنِ يَكِيدُونَ كَيْدًا لِيَدْفَعُوا بِكَيْدِهِمُ الْحَقَّ، وَيُؤَيِّدُوا الْبَاطِلَ.

وَأَكِيدُ كَيْدًا لِّإِظْهَارِ الْحَقِّ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَلِدَفْعِ مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيُعَلِّمَ بِهَذَا مِنَ الْغَالِبِ، فَإِنَّ
الْأَدْمِيَّ أَوْضَعُ وَأَحَقُّرُ مِنْ أَنْ يُغَالِبَ الْقَوِيَّ الْعَلِيمَ فِي كَيْدِهِ.

فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوَيْدًا أَيُّ: قَلِيلًا فَسَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ، حِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعِقَابُ.

تَمَّ تَفْسِيرُهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ سَبْحٍ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى
سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى وَيُؤَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَتِ الذِّكْرِ
سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

يَأْمُرُ تَعَالَى بِتَسْبِيحِهِ الْمُتَضَمِّنِ لِذِكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَالْخُضُوعِ لِجَلَالِهِ، وَالِاسْتِكَانَةِ لِعَظَمَتِهِ، وَأَنْ يَكُونَ تَسْبِيحًا،
يَلِيْقُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، بَأَن تَذَكَرَ أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى الْعَالِيَةَ عَلَى كُلِّ اسْمٍ بِمَعْنَاهَا الْعَظِيمِ الْجَلِيلِ، وَتَذَكَرُ
أَفْعَالَهُ الَّتِي مِنْهَا أَنَّهُ خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ فَسَوَّاهَا، أَي: أَتَقَنَّهَا وَأَحْسَنَ خَلْقَهَا، وَالَّذِي قَدَّرَ تَقْدِيرًا، تَتَّبَعُهُ جَمِيعُ
الْمُقَدَّرَاتِ فَهَدَى إِلَيْ ذَلِكَ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَهَذِهِ الْهَدَايَةُ الْعَامَّةُ، الَّتِي مَضْمُونُهَا أَنَّهُ هَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ لِمَصْلَحَتِهِ، وَتَذَكَرَ فِيهَا نِعْمَةُ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَلِهَذَا قَالَ:
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى أَي: أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَ بِهِ أَصْنَافَ النَّبَاتِ وَالْعُشْبِ الْكَثِيرِ، فَرَتَعَ فِيهَا النَّاسُ
وَالْبَهَائِمُ وَجَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ اسْتَكْمَلَ مَا قَدَّرَ لَهُ مِنَ الشَّبَابِ، أَلْوَى نَبَاتُهُ، وَصَوَّحَ عُشْبُهُ، فَجَعَلَهُ
غُثَاءً أَحْوَى أَي: أَسْوَدَ أَي: جَعَلَهُ هَشِيمًا رَمِيمًا، وَيَذَكَرُ فِيهَا نِعْمَةُ الدِّينِيَّةِ، وَلِهَذَا امْتَنَّ اللَّهُ بِأَصْلِهَا وَمُنَشَّئِهَا
، وَهُوَ الْقُرْآنُ، فَقَالَ: سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى أَي: سَنَحْفَظُ مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ، وَنُوعِيهِ قَلْبِكَ، فَلَا تَنْسَى
مِنْهُ شَيْئًا، وَهَذِهِ بَشَارَةٌ مِنَ اللَّهِ كَبِيرَةٌ لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ اللَّهَ سَيَعْلَمُهُ عِلْمًا لَا
يَنْسَاهُ.

إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ مِمَّا افْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يُنْسِيكَه لِمَصْلَحَةِ بِالِغَةِ، إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَصْلُحُ عِبَادَهُ أَيُّ: فَلِذَلِكَ يَشْرَعُ مَا أَرَادَ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَنُيَسَّرُكَ لِلْيُسْرَى وَهَذِهِ أَيْضًا بِشَارَةَ أُخْرَى، أَنَّ اللَّهَ يُسِّرُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْيُسْرَى فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَيَجْعَلُ شَرْعَهُ وَدِينَهُ يَسِيرًا.

فَذَكَرَ بِشْرَعِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى أَيُّ: مَا دَامَتِ الذُّكْرَى مَقْبُولَةً، وَالْمَوْعِظَةُ مَسْمُوعَةً، سَوَاءً حَصَلَ مِنَ الذُّكْرَى جَمِيعُ الْمَقْصُودِ أَوْ بَعْضُهُ.

وَمَفْهُومُ الْآيَةِ أَنَّهُ إِنْ لَمْ تَنْفَعِ الذُّكْرَى، بَأَنَّ كَانَ التَّذْكِيرُ يَزِيدُ فِي الشَّرِّ، أَوْ يَنْقُصُ مِنَ الْخَيْرِ، لَمْ تَكُنِ الذُّكْرَى مَأْمُورًا بِهَا، بَلْ مِنْهَيًّا عَنْهَا، فَالذُّكْرَى يَنْقَسِمُ النَّاسُ فِيهَا قِسْمَيْنِ: مُنْتَفِعُونَ وَغَيْرُ مُنْتَفِعِينَ.

فَأَمَّا الْمُنْتَفِعُونَ، فَقَدْ ذَكَرَهُمْ بِقَوْلِهِ: سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمَهُ بِأَنَّ سَيَجَازِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِ، تُوجِبُ لِلْعَبْدِ الْإِنْكَفَافَ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَالسَّعْيَ فِي الْخَيْرَاتِ.

وَأَمَّا غَيْرُ الْمُنْتَفِعِينَ، فَذَكَرَهُمْ بِقَوْلِهِ: وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصَلِي النَّارَ الْكُبْرَى وَهِيَ النَّارُ الْمُوقَدَةُ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ.

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا أَيُّ: يُعَذَّبُ عَذَابًا أَلِيمًا، مِنْ غَيْرِ رَاحَةٍ وَلَا اسْتِرَاحَةٍ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ فَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى أَيُّ: قَدْ فَازَ وَرَبِحَ مَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ وَنَقَّاهَا مِنَ الشَّرِّ وَالظُّلْمِ وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى أَيُّ: اتَّصَفَ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَأَنْصَبَ بِهِ قَلْبَهُ، فَأَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ الْعَمَلُ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ، خُصُوصًا الصَّلَاةَ، الَّتِي هِيَ مِيزَانُ الْإِيمَانِ، فَهَذَا مَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَأَمَّا مَنْ فَسَّرَ قَوْلَهُ تَزَكَّى يَعْنِي أَخْرَجَ زَكَاةَ الْفِطْرِ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، أَنَّهُ صَلَاةُ الْعِيدِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي اللَّفْظِ وَبَعْضِ جُزْئِيَّاتِهِ، فَلَيْسَ هُوَ الْمَعْنَى وَحْدَهُ.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا أَيُّ: تُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَتَخْتَارُونَ نَعِيمَهَا الْمُنْعَصَ الْمُكَدَّرَ الرَّائِلَ عَلَى الْآخِرَةِ.

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا فِي كُلِّ وَصْفٍ مَطْلُوبٍ، وَأَبْقَى لِكَوْنِهَا دَارَ خُلْدٍ وَبَقَاءٍ وَصَفَاءٍ،
وَالدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ، فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ لَا يَخْتَارُ الْأَرْدَا عَلَى الْأَجُودِ، وَلَا يَبِيعُ لَذَّةَ سَاعَةٍ، بِتَرْحَةِ الْأَبَدِ، فَحُبُّ الدُّنْيَا
وَإِيتَارُهَا عَلَى الْآخِرَةِ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ.

إِنَّ هَذَا الْمَذْكُورُ لَكُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ، مِنَ الْأَوَامِرِ الْحَسَنَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمُسْتَحْسَنَةِ لَفِي الصُّحُفِ
الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى اللَّذَيْنِ هُمَا أَشْرَفُ الْمُرْسَلِينَ، بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ.

فَهَذِهِ أَوَامِرُ فِي كُلِّ شَرِيعَةٍ، لِكَوْنِهَا عَائِدَةٌ إِلَى مَصَالِحِ الدَّارَيْنِ، وَهِيَ مَصَالِحُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

تَمَّتْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ سَبَّحَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

تفسير سورة الغاشية

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ وَجُوهُ يَوْمئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ وَجُوهُ يَوْمئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاجِيَةً فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ

يَذُكُرُ تَعَالَى أَحْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ الطَّامَّةِ، وَأَنَّهَا تَغْشَى الْخَلَائِقَ بِشِدَائِدِهَا، فَيَجَاوُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَيَتَمَيَّزُونَ إِلَى فَرِيقَيْنِ: فَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقًا فِي السَّعِيرِ.

فَأَخْبَرَ عَنِ وَصْفِ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ فِي وَصْفِ أَهْلِ النَّارِ: وَجُوهُ يَوْمئِذٍ أَيُّ: يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَاشِعَةٌ مِنَ الدُّلِّ، وَالْفَضِيحَةِ وَالْخِزْيِ.

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ أَيُّ: تَاعِبَةٌ فِي الْعَذَابِ، تَجُرُّ عَلَى وَجُوهِهَا، وَتَغْشَى وَجُوهُهُمْ النَّارُ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: وَجُوهُ يَوْمئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ فِي الدُّنْيَا لِكَوْنِهِمْ فِي الدُّنْيَا أَهْلَ عِبَادَاتٍ وَعَمَلٍ، وَلِكِنَّهُ لَمَّا عَدَمَ شَرْطَهُ وَهُوَ الْإِيمَانُ، صَارَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ هَبَاءً مَنُثُورًا، وَهَذَا الْإِحْتِمَالُ وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، فَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ، بَلِ الصَّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ هُوَ الْإِحْتِمَالُ الْأَوَّلُ، لِأَنَّهُ قَيَّدَهُ بِالظَّرْفِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَلِأَنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا بَيَانُ ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ عُمُومًا، وَذَلِكَ الْإِحْتِمَالُ جُزْءٌ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ النَّارِ؛ وَلِأَنَّ الْكَلَامَ فِي بَيَانِ حَالِ النَّاسِ عِنْدَ غَشْيَانِ الْغَاشِيَةِ، فَلَيْسَ فِيهِ تَعَرُّضٌ لِأَحْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

وَقَوْلُهُ: تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً أَيُّ: شَدِيدًا حَرُّهَا، تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ أَيُّ: شَدِيدَةٌ

الْحَرَارَةَ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ فَهَذَا شَرَابُهُمْ.

وَأَمَّا طَعَامُهُمْ فَلاَ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيحٍ لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الطَّعَامِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَسُدَّ جُوعَ صَاحِبِهِ وَيُزِيلَ عَنْهُ أَلَمَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَسْمَنَ بَدَنُهُ مِنَ الْهَزَالِ، وَهَذَا الطَّعَامُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، بَلْ هُوَ طَعَامٌ فِي غَايَةِ الْمَرَارَةِ وَالنَّتْنِ وَالْخِسَّةِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْخَيْرِ، فَوُجُوهُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاعِمَةٌ أَيٌّ: قَدْ جَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ، فَضَرَّتْ أَبْدَانُهُمْ، وَاسْتَنَارَتْ وَجُوهُهُمْ، وَسُرُّوا غَايَةَ السُّرُورِ.

لِسَعِيهَا الَّذِي قَدَّمَتْهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، رَاضِيَةً إِذْ وَجَدَتْ ثَوَابَهُ مُدْخَرًا مُضَاعَفًا، فَحَمَدَتْ عُقْبَاهُ، وَحَصَلَ لَهَا كُلُّ مَا تَتَمَنَّاهُ، وَذَلِكَ أَنَّهَا فِي جَنَّةٍ جَامِعَةٍ لِأَنْوَاعِ النَّعِيمِ كُلِّهَا، عَالِيَةٍ فِي مَحَلِّهَا وَمَنَارِلِهَا، فَمَحَلُّهَا فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَمَنَارِلُهَا مَسَاكِنُ عَالِيَةٍ، لَهَا غُرْفٌ وَمِنْ فَوْقِ الْغُرْفِ غُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ يُشْرِفُونَ مِنْهَا عَلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ.

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ أَيٌّ: كَثِيرَةُ الْفَوَاكِهِ اللَّذِيذَةِ، الْمُثْمِرَةِ بِالثَّمَارِ الْحَسَنَةِ، السَّهْلَةِ التَّنَاوُلِ، بِحَيْثُ يَنَالُونَهَا عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانُوا، لاَ يَحْتَاجُونَ أَنْ يَصْعَدُوا شَجَرَةً، أَوْ يَسْتَعَصِي عَلَيْهِمْ مِنْهَا ثَمْرَةً.

لاَ تَسْمَعُ فِيهَا أَيٌّ: الْجَنَّةُ لاَغِيَةٌ أَيٌّ: كَلِمَةٌ لَعُوٍ وَبَاطِلٍ، فَضلاً عَنِ الْكَلَامِ الْمُحَرَّمِ، بَلْ كَلَامُهُمْ كَلَامٌ حَسَنٌ نَافِعٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَكَرَ نِعْمَهُ الْمُتَوَاتِرَةَ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى الْأَدَابِ الْحَسَنَةِ بَيْنَ الْمُتَعَاشِرِينَ، الَّذِي يَسُرُّ الْقُلُوبَ، وَيَشْرَحُ الصُّدُورَ.

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ وَهَذَا اسْمُ جِنْسٍ أَيٌّ: فِيهَا الْعُيُونُ الْجَارِيَةُ الَّتِي يُفَجِّرُونَهَا وَيَصْرِفُونَهَا كَيْفَ شَاءُوا، وَأَنَّى أَرَادُوا.

فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَ «السُّرُرُ» جَمْعُ «سَرِيرٍ» وَهِيَ الْمَجَالِسُ الْمُرْتَفِعَةُ فِي ذَاتِهَا، وَبِمَا عَلَيْهَا مِنَ الْفُرُشِ اللَّيِّنَةِ

الْوَطِيئَةَ.

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ أَي: أَوَانٍ مُمْتَلِئَةٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَشْرِيَةِ اللَّذِيذَةِ، قَدْ وُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ، وَصَارَتْ تَحْتَ طَلَبِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ، يَطُوفُ بِهَا عَلَيْهِمُ الْوِلْدَانُ الْمُخَلَّدُونَ.

وَنَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ أَي: وَسَائِدٌ مِنَ الْحَرِيرِ وَالِاسْتَبْرَقِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، قَدْ صُفَّتْ لِلْجُلُوسِ وَالِاتِّكَاءِ عَلَيْهَا، وَقَدْ أُرِيحُوا عَنْ أَنْ يَضَعُوهَا، وَ يَصِفُّوهَا بِأَنْفُسِهِمْ.

وَزَرَائِبِيٌّ مَبْنُوتَةٌ وَالزَّرَائِبِيُّ هِيَ: الْبَسْطُ الْحَسَنُ، مَبْنُوتَةٌ أَي: مَمْلُوءَةٌ بِهَا مَجَالِسُهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ

يَقُولُ تَعَالَى حَتَّى لِلَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ أَي: أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى خَلْقِهَا الْبَدِيعِ، وَكَيْفَ سَخَّرَهَا اللَّهُ لِلْعِبَادِ، وَذَلَّلَهَا لِمَنَافِعِهِمُ الْكَثِيرَةَ الَّتِي يَضْطَرُّونَ إِلَيْهَا. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ بِهَيْئَةٍ بَاهِرَةٍ، حَصَلَ بِهَا الْإِسْتِقْرَارُ لِلْأَرْضِ وَثَبَاتُهَا عَنِ الْإِضْطِرَابِ، وَأُودِعَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ الْجَلِيلَةِ مَا أُودِعَ.

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ أَي: مُدَّتْ مَدًّا وَاسِعًا، وَسَهَّلَتْ غَايَةَ التَّسْهِيلِ، لِيَسْتَقِرَّ الْعِبَادُ عَلَى ظَهْرِهَا، وَيَتِمَّ كُنُوتُهَا مِنْ حَرْثِهَا وَغَرَاسِهَا، وَالْبُنْيَانِ فِيهَا، وَسُلُوكِ طُرُقِهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ تَسْطِيحَهَا لَا يُنَافِي أَنَّهَا كُرَّةٌ مُسْتَدِيرَةٌ، قَدْ أَحَاطَتْ الْأَفلاكُ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ النَّقْلُ وَالْعَقْلُ وَالْحِسُّ وَالْمُشَاهَدَةُ، كَمَا هُوَ مَذْكَورٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، خُصُوصًا فِي هَذِهِ الْأَزْمَةِ، الَّتِي وَقَفَ النَّاسُ عَلَى أَكْثَرِ أَرْجَائِهَا بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُقَرَّبَةِ لِلْبَعِيدِ، فَإِنَّ التَّسْطِيحَ إِنَّمَا

يُنَافِي كُرُوْبَةَ الْجِسْمِ الصَّغِيرِ جَدًّا، الَّذِي لَوْ سَطِحَ لَمْ يَبْقَ لَهُ اسْتِدَارَةٌ تُذَكِّرُ.

وَأَمَّا جِسْمُ الْأَرْضِ الَّذِي هُوَ كَبِيرٌ جَدًّا وَاسِعٌ، فَيَكُونُ كُرُوْبًا مُسَطَّحًا، وَلَا يَتَنَافَى الْأَمْرَانِ، كَمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ أَرْبَابُ الْخَبْرَةِ.

فَذَكَرْنَا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ أَيُّ: ذَكَرَ النَّاسَ وَعِظْتَهُمْ، وَأَنْذَرْتَهُمْ وَبَشَّرْتَهُمْ، فَإِنَّكَ مَبْعُوثٌ لِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ وَتَذْكَيرِهِمْ، وَلَمْ تُبْعَثْ عَلَيْهِمْ مُسَيِّطِرًا، عَلَيْهِمْ مُسَلِّطًا مُوَكَّلًا بِأَعْمَالِهِمْ، فَإِذَا قُتِمَتْ بِمَا عَلَيْكَ، فَلَا عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ لَوْمٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْنَا بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ .

وَقَوْلُهُ: إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ أَيُّ: لَكِنْ مَنْ تَوَلَّى عَنِ الطَّاعَةِ وَكَفَرَ بِاللَّهِ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ أَيُّ: الشَّدِيدَ الدَّائِمَ، إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ أَيُّ: رُجُوعَ الْخَلَائِقِ وَجَمْعُهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَجْرِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ

الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُقْسَمَ بِهِ، هُوَ الْمُقْسَمُ بِهِ، وَذَلِكَ جَائِزٌ مُسْتَعْمَلٌ، إِذَا كَانَ أَمْرًا ظَاهِرًا مُهِمًّا، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِالْفَجْرِ، الَّذِي هُوَ آخِرُ اللَّيْلِ وَمُقَدِّمَةُ النَّهَارِ، لِمَا فِي إِدْبَارِ اللَّيْلِ وَإِقْبَالِ النَّهَارِ، مِنَ الْآيَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ، الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَيَقَعُ فِي الْفَجْرِ صَلَاةٌ فَاضِلَةٌ مُعْظَمَةٌ، يَحْسُنُ أَنْ يُقْسِمَ اللَّهُ بِهَا، وَلِهَذَا أَقْسَمَ بَعْدَهُ بِاللَّيَالِي الْعَشْرِ، وَهِيَ عَلَى الصَّحِيحِ: لَيَالِي عَشْرِ رَمَضَانَ، أَوْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، فَإِنَّهَا لَيَالٍ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَيَّامٍ فَاضِلَةٍ، وَيَقَعُ فِيهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْقُرْبَاتِ مَا لَا يَقَعُ فِي غَيْرِهَا.

وَفِي لَيَالِي عَشْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَفِي نَهَارِهَا، صِيَامُ آخِرِ رَمَضَانَ الَّذِي هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

وَفِي أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، الْوُفُوفُ بِعَرَفَةَ، الَّذِي يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِ لِعِبَادِهِ مَغْفِرَةً يَحْزَنُ لَهَا الشَّيْطَانُ، فَمَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ أَحْقَرَ وَلَا أَدْحَرَ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، لِمَا يَرَى مِنْ تَنْزِيلِ الْأَمْلَاقِ وَالرَّحْمَةِ مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَيَقَعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَفْعَالِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَهَذِهِ أَشْيَاءٌ مُعْظَمَةٌ، مُسْتَحَقَّةٌ لِأَنَّ يُقْسِمُ اللَّهُ بِهَا.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ أَيُّ: وَقْتَ سَرِيَانِهِ وَإِرْخَائِهِ ظَلَامِهِ عَلَى الْعِبَادِ، فَيَسْكُنُونَ وَيَسْتَرِيحُونَ وَيُطْمَئِنُّونَ، رَحْمَةً مِنْهُ تَعَالَى وَحِكْمَةً.

هَلْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ أَيُّ: لِذِي عَقْلٍ؟ نَعَمْ، بَعْضُ ذَلِكَ يَكْفِي، لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ
وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ
لِبَالِمِرْصَادٍ

يَقُولُ تَعَالَى: أَلَمْ تَرَ بِقَلْبِكَ وَبَصِيرَتِكَ كَيْفَ فَعَلَ بِهَذِهِ الْأُمَّمِ الطَّاغِيَةِ، وَهِيَ إِرْمَ الْقَبِيلَةِ الْمَعْرُوفَةُ فِي الْيَمَنِ
ذَاتِ الْعِمَادِ أَي: الْقُوَّةِ الشَّدِيدَةِ، وَالْعُتُوِّ وَالتَّجْبُرِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ أَي: فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ فِي
الْقُوَّةِ وَالشَّدَّةِ، كَمَا قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ أَي: وَادِي الْقَرْيَةِ، نَحْتُوا بِقُوَّتِهِمِ الصُّخُورَ، فَاتَّخَذُوهَا مَسَاكِينَ، وَفِرْعَوْنَ ذِي
الْأَوْتَادِ أَي: ذِي الْجُنُودِ الَّذِينَ تَبَتُّوا مُلْكَهُ، كَمَا تُتَبَّتُ الْأَوْتَادُ مَا يُرَادُ إِمْسَاكُهُ بِهَا، الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ
هَذَا الْوَصْفُ عَائِدٌ إِلَى عَادِ وَثَمُودِ وَفِرْعَوْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ، فَإِنَّهُمْ طَعَوْا فِي بِلَادِ اللَّهِ، وَآذَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فِي دِينِهِمْ
وَدُنْيَاهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ:

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ وَهُوَ الْعَمَلُ بِالْكَفْرِ وَشُعْبِهِ، مِنْ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْمَعَاصِي، وَسَعَوْا فِي مُحَارَبَةِ الرُّسُلِ وَصَدَّ
النَّاسَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، فَلَمَّا بَلَّغُوا مِنَ الْعُتُوِّ مَا هُوَ مُوجِبٌ لِهَلَاكِهِمْ، أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِهِ ذُنُوبًا وَسَوْطَ
عَذَابٍ، إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ لِمَنْ يَعْصِيهِ يُمَهِّلُهُ قَلِيلًا ثُمَّ يَأْخُذْهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي
أَهَانَنِ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ
حُبًّا جَمًّا

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَأَنَّهُ جَاهِلٌ ظَالِمٌ، لَا عِلْمَ لَهُ بِالْعَوَاقِبِ، يَظُنُّ الْحَالَ الَّتِي
تَقَعُ فِيهِ تَسْتَمِرُّ وَلَا تَزُولُ، وَيَظُنُّ أَنَّ إِكْرَامَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَإِنْعَامَهُ عَلَيْهِ يَدُلُّ عَلَى كَرَامَتِهِ عِنْدَهُ وَقُرْبِهِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ
إِذَا قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَي: ضَيَّقَهُ، فَصَارَ بِقَدْرِ قُوَّتِهِ لَا يَفْضُلُ عَنْهُ، أَنَّ هَذَا إِهَانَةٌ مِنَ اللَّهِ لَهُ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِ هَذَا

الْحُسْبَانُ: بِقَوْلِهِمْ كَلَّا أَي: لَيْسَ كُلُّ مَنْ نَعَّمْتُهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَرِيمٌ عَلَيَّ، وَلَا كُلُّ مَنْ قَدَرْتُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَهُوَ مُهَانٌ لَدَيَّ، وَإِنَّمَا الْغِنَى وَالْفَقْرُ، وَالسَّعَةُ وَالضِّيقُ، ابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ، وَامْتِحَانٌ يُمْتَحَنُ بِهِ الْعِبَادُ، لِيُرَى مَنْ يَقُومُ لَهُ بِالشُّكْرِ وَالصَّبْرِ، فَيُثَبِّتُهُ عَلَى ذَلِكَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، مِمَّنْ لَيْسَ كَذَلِكَ فَيُنْقَلُهُ إِلَى الْعَذَابِ الْوَبِيلِ.

وَأَيْضًا، فَإِنَّ وَقُوفَ هِمَّةِ الْعَبْدِ عِنْدَ مُرَادِ نَفْسِهِ فَقَطُّ، مِنْ ضَعْفِ الْهِمَّةِ، وَلِهَذَا لَأَمَهُمُ اللَّهُ عَلَى عَدَمِ اهْتِمَامِهِمْ بِأَحْوَالِ الْخَلْقِ الْمُحْتَاجِينَ، فَقَالَ: كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ الَّذِي فَقَدَ أَبَاهُ وَكَاسَبَهُ، وَاحْتِاجَ إِلَى جَبْرِ خَاطِرِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ.

فَأَنْتُمْ لَا تُكْرِمُونَهُ بَلْ تُهِينُونَهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الرَّحْمَةِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَعَدَمِ الرَّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ.

وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ أَي: لَا يَحْضُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى إِطْعَامِ الْمَحَاجِرِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَذَلِكَ لِأَجْلِ الشُّحِّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَحَبَّتِهَا الشَّدِيدَةِ الْمُتَمَكِّنَةِ مِنَ الْقُلُوبِ، وَلِهَذَا قَالَ: وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَي: الْمَالَ الْمُخْلَفَ أَكْلًا لَمَّا أَي: ذَرِيعًا، لَا تُبْقُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ.

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا أَي: شَدِيدًا، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرًا وَأَبْقَى كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ .

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي

كَلَّا أَي: لَيْسَ كُلُّ مَا أَحْبَبْتُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَتَنَافَسْتُمْ فِيهِ مِنَ اللَّذَاتِ، يَبَاقٍ لَكُمْ، بَلْ أَمَامَكُمْ يَوْمَ عَظِيمٍ، وَهَوْلٍ جَسِيمٍ، تَدُكُّ فِيهِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَمَا عَلَيْهَا حَتَّى تُجْعَلَ قَاعًا صَفْصَفًا لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا أَمْتًا. وَيَجِيءُ اللَّهُ تَعَالَى لِفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي ظِلِّ مِنَ الْغَمَامِ، وَيَجِيءُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ، أَهْلُ السَّمَاوَاتِ كُلِّهِمْ، صَفًّا صَفًّا أَي: صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ، كُلُّ سَمَاءٍ يَجِيءُ مَلَائِكَتُهَا صَفًّا، يُحِيطُونَ بِمَنْ دُونَهُمْ مِنَ الْخَلْقِ، وَهَذِهِ الصُّفُوفُ صُفُوفُ خُضُوعٍ وَذُلٍّ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ. وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ تَفُودُهَا الْمَلَائِكَةُ بِالسَّلَاسِلِ.

فَإِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ فَيَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا قَدَّمَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى فَقَدْ فَاتَ أَوَانُهَا، وَذَهَبَ زَمَانُهَا، يَقُولُ مُتَحَسِّرًا عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنبِ اللَّهِ: يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي الْبَاقِيَةَ الدَّائِمَةَ، عَمَلًا صَالِحًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي يَنْبَغِي السَّعْيُ فِي كَمَالِهَا وَتَحْصِيلِهَا وَكَمَالِهَا ، وَفِي تَتْمِيمِ لَذَاتِهَا، هِيَ الْحَيَاةُ فِي دَارِ الْقَرَارِ، فَإِنَّهَا دَارُ الْخُلْدِ وَالْبَقَاءِ.

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا لِمَنْ أَهْمَلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَنَسِيَ الْعَمَلَ لَهُ.

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ فَإِنَّهُمْ يُقْرَأُونَ بَسَالِسَ مِنْ نَارٍ، وَيُسْحَبُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي الْحَمِيمِ، ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ، فَهَذَا جَزَاءُ الْمُجْرِمِينَ، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاطْمَأَنَّ بِهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، السَّاكِنَةُ إِلَى حُبِّهِ، الَّتِي قَرَّتْ عَيْنُهَا بِاللَّهِ.

ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ الَّذِي رَبَّكَ بِنِعْمَتِهِ، وَأَسَدَى عَلَيْكَ مِنْ إِحْسَانِهِ مَا صِرْتَ بِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَحْبَابِهِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً أَيُّ: رَاضِيَةً عَنِ اللَّهِ، وَعَنْ مَا أَكْرَمَهَا بِهِ مِنَ الثَّوَابِ، وَاللَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهَا.

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَاَدْخُلِي جَنَّتِي وَهَذَا تُخَاطَبُ بِهِ الرُّوحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُخَاطَبُ بِهِ وَقْتُ السِّيَاقِ وَالْمَوْتِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

تَفْسِيرُ سُورَةِ لَا أُقْسِمُ

بِهَذَا الْبَلَدِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ

يُقْسِمُ تَعَالَى بِهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ، الَّذِي وَهُوَ مَكَّةُ الْمُكْرَمَةُ، أَفْضَلُ الْبُلْدَانِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، خُصُوصًا وَقَتْ حُلُولِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ أَيُّ: آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ.

وَالْمَقْسَمُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ مَا يُكَابِدُهُ وَيُقَاسِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْبُرْزَخِ، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْعَى فِي عَمَلٍ يُرِيحُهُ مِنْ هَذِهِ الشَّدَائِدِ، وَيُوجِبُ لَهُ الْفَرَاحَ وَالسُّرُورَ الدَّائِمَ.

وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يُكَابِدُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ أَبَدَ الْأَبَادِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمَعْنَى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَأَقْوَمِ خَلْقَةٍ، يَقْدِرُ عَلَى التَّصَرُّفِ وَالْأَعْمَالِ الشَّدِيدَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، بَلْ بَطَرَ بِالْعَافِيَةِ وَتَجَبَّرَ عَلَى خَالِقِهِ، فَحَسِبَ بِجَهْلِهِ وَظُلْمِهِ أَنَّ هَذِهِ الْحَالِ سَتْدُومٌ لَهُ، وَأَنَّ سُلْطَانَ تَصَرُّفِهِ لَا يَنْعَزِلُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَيَطْعَى وَيَفْتَحَرَ بِمَا أَنْفَقَ مِنَ الْأَمْوَالِ عَلَى شَهَوَاتِ نَفْسِهِ. فَ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا

أَي: كَثِيرًا، بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.

وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْفَاقَ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَعَاصِي إِهْلَاكًا، لِأَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ الْمُنْفِقُ بِمَا أَنْفَقَ، وَلَا يَعُودُ إِلَيْهِ مِنْ
إِنْفَاقِهِ إِلَّا النَّدَمُ وَالْحَسَارُ وَالتَّعَبُ وَالْقَلَّةُ، لَا كَمَنْ أَنْفَقَ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، فَإِنَّ هَذَا قَدْ تَجَرَ مَعَ
اللَّهِ، وَرَبِحَ أَضْعَافَ أَضْعَافَ مَا أَنْفَقَ. قَالَ اللَّهُ مُتَوَعِّدًا هَذَا الَّذِي يَفْتَخِرُ بِمَا أَنْفَقَ فِي الشَّهَوَاتِ: أَيَحْسَبُ
أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ أَي: أَيُظَنُّ فِي فِعْلِهِ هَذَا، أَنَّ اللَّهَ لَا يَرَاهُ وَيُحَاسِبُهُ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ؟ بَلْ قَدْ رَأَاهُ اللَّهُ،
وَحَفِظَ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ، وَوَكَّلَ بِهِ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ، لِكُلِّ مَا عَمَلَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

ثُمَّ قَرَّرَهُ بِنِعْمِهِ، فَقَالَ: أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ لِلْجَمَالِ وَالْبَصْرِ وَالتُّنْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ
الضَّرُورِيَّةِ فِيهَا، فَهَذِهِ نِعْمَ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ فِي نِعْمِ الدِّينِ: وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ أَي: طَرِيقِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، بَيْنَا لَهُ
الهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَالرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ. فَهَذِهِ الْمَنُّ الْجَزِيلَةُ، تَقْتَضِي مِنَ الْعَبْدِ أَنْ يَقُومَ بِحُقُوقِ اللَّهِ، وَيَشْكُرَهُ
عَلَى نِعْمِهِ، وَأَنْ لَا يَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَكِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ.

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ أَي: لَمْ يَقْتَحِمَهَا وَيَعْبُرْ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ. وَهَذِهِ الْعَقَبَةُ شَدِيدَةٌ عَلَيْهِ، ثُمَّ فَسَّرَ هَذِهِ
الْعَقَبَةَ بِقَوْلِهِ: فَكُ رَقَبَةٌ أَي: فَكُّهَا مِنَ الرَّقِّ، بِعِتْقِهَا أَوْ مُسَاعَدَتِهَا عَلَى أَدَاءِ كِتَابَتِهَا، وَمِنْ بَابِ أَوْلَى فَكَأُكُ
الْأَسِيرِ الْمُسْلِمِ عِنْدَ الْكُفَّارِ.

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ أَي: مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ، بَانَ يُطْعِمَ وَقَتَّ الْحَاجَةَ أَشَدَّ النَّاسِ حَاجَةً.

بَيْتًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَي: جَامِعًا بَيْنَ كَوْنِهِ بَيْتًا، فَقِيرًا ذَا قَرَابَةٍ.

أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ أَي: قَدْ لَرِقَ بِالتُّرَابِ مِنَ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ.

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَي: آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
بِجَوَارِحِهِمْ. فَدَخَلَ فِي هَذَا كُلُّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ وَاجِبٍ أَوْ مُسْتَحَبٍّ. وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعَنْ

مَعْصِيَتِهِ، وَعَلَى أَقْدَارِهِ الْمُؤَلِّمَةِ بِأَنْ يَحُثَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الْإِنْقِيَادِ لِدَلِكِ، وَالْإِثْيَانِ بِهِ كَامِلًا مُنْشَرَحًا بِهِ الصَّدْرُ، مُطْمَئِنَّةً بِهِ النَّفْسُ.

وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ لِلْخَلْقِ، مِنْ إِعْطَاءِ مُحْتَاجِهِمْ، وَتَعْلِيمِ جَاهِلِهِمْ، وَالْقِيَامِ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَمُسَاعَدَتِهِمْ عَلَى الْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ قَامُوا بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ، الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِإِفْتِحَامِ هَذِهِ الْعَقَبَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ لِأَنََّّهُمْ أَدَّوْا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ حُقُوقِهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، وَتَرَكَوْا مَا نَهَى عَنْهُ، وَهَذَا عُنْوَانُ السَّعَادَةِ وَعَلَامَتُهَا.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا بِأَنْ نَبْذُوا هَذِهِ الْأُمُورَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا بِاللَّهِ، وَلَا آمَنُوا بِهِ، وَلَا عَمِلُوا صَالِحًا، وَلَا رَحِمُوا عِبَادَ اللَّهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ أَيُّ: مُغْلَقَةٌ، فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ، قَدْ مُدَّتْ مِنْ وَرَائِهَا، لِئَلَّا تَنْفَتِحُ أَبْوَابُهَا، حَتَّى يَكُونُوا فِي ضَيْقٍ وَهَمٍّ وَشِدَّةٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

تَفْسِيرُ سُورَةِ الشَّمْسِ

وَضَحَاهَا وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا
طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بَطْنُوعَاهَا إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا

أَقْسَمَ تَعَالَى بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ، عَلَى النَّفْسِ الْمُفْلِحَةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ النَّفُوسِ الْفَاجِرَةِ، فَقَالَ:

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا أَيُّ: نُورُهَا، وَنَفْعُهَا الصَّادِرُ مِنْهَا.

وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا أَيُّ: تَبِعَهَا فِي الْمَنَازِلِ وَالنُّورِ.

وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَاهَا أَيُّ: جَلَى مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَأَوْضَحَهُ.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا أَيُّ: يَغْشَى وَجْهَ الْأَرْضِ، فَيَكُونُ مَا عَلَيْهَا مُظْلِمًا.

فَتَعَاقُبُ الظُّلْمَةُ وَالضِّيَاءُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، عَلَى هَذَا الْعَالَمِ، بِانْتِظَامٍ وَإِتْقَانٍ، وَقِيَامٍ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، أَكْبَرُ
دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ، الَّذِي كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ.
وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا يُحْتَمَلُ أَنَّ «مَا» مَوْصُولَةٌ، فَيَكُونُ الْإِقْسَامُ بِالسَّمَاءِ وَبَانِيهَا، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهَا
مَصْدَرِيَّةٌ، فَيَكُونُ الْإِقْسَامُ بِالسَّمَاءِ وَبُنْيَانِهَا، الَّذِي هُوَ غَايَةُ مَا يُقَدَّرُ مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانِ، وَنَحْوِ

هَذَا قَوْلُهُ: وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا أَيُّ: مَدَّهَا وَوَسَّعَهَا، فَتَمَكَّنَ الْخَلْقُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا، بِجَمِيعِ أَوْجُهِ الْإِنْتِفَاعِ.

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ نَفْسُ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ، كَمَا يُؤَيِّدُ هَذَا الْعُمُومُ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْإِقْسَامَ بِنَفْسِ الْإِنْسَانِ الْمُكَلَّفِ، بِدَلِيلِ مَا يَأْتِي بَعْدَهُ. وَعَلَى كُلِّ، فَالْنَفْسُ آيَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي يَحِقُّ الْإِقْسَامُ بِهَا فَإِنَّهَا فِي غَايَةِ اللَّطْفِ وَالْخِفَةِ، سَرِيعَةُ التَّنْقُلِ وَالْحَرَكَةِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّأَثُّرِ وَالْإِنْفِعَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ، مِنَ الْهَمِّ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْقَصْدِ، وَالْحُبِّ، وَالْبُغْضِ، وَهِيَ الَّتِي لَوْلَاهَا لَكَانَ الْبَدَنُ مُجَرَّدَ تِمَثَالٍ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَتَسْوِيَّتُهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ.

وَقَوْلُهُ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا أَيُّ: طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَنَقَّاهَا مِنَ الْعُيُوبِ، وَرَقَّاهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَعَلَّاهَا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا أَيُّ: أَخْفَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ، الَّتِي لَيْسَتْ حَقِيقَةً بِقَمْعِهَا وَإِخْفَائِهَا، بِالتَّدْنُسِ بِالرَّذَائِلِ، وَالذُّنُوبِ مِنَ الْعُيُوبِ، وَتَرَكَ مَا يُكْمَلُهَا وَيُنَمِّيُّهَا، وَاسْتَعْمَالَ مَا يَشِينُهَا وَيُدَسِّسُهَا.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا أَيُّ: بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا وَتَرْفُفِهَا عَنِ الْحَقِّ، وَعُتُوِّهَا عَلَى رَسُولِهَا. إِذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا أَيُّ: أَشَقَى الْقَبِيلَةَ، وَهُوَ «قِدَارُ بْنُ سَالِفٍ» لِعَقْرِهَا حِينَ اتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ، وَأَمْرُوهُ فَاتَمَرَ لَهُمْ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحَذِّرًا: نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا أَيُّ: احذَرُوا عَقْرَ نَاقَةِ اللَّهِ، الَّتِي جَعَلَهَا لَكُمْ آيَةً عَظِيمَةً، وَلَا تُقَابِلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِسُقْيِ لِبْنِهَا أَنْ تَعَقِرُوهَا، فَكَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحًا.

فَعَقَرُوهَا فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ أَيُّ: دَمَّرَ عَلَيْهِمْ وَعَمَّهَمُ بِعِقَابِهِ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الصَّيْحَةَ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَالرَّجْفَةَ مِنْ تَحْتِهِمْ، فَأَصْبَحُوا جَاثِمِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ، لَا تَجِدُ مِنْهُمْ دَاعِيًا وَلَا مُجِيبًا.

فَسَوَّاهَا عَلَيْهِمْ أَيُّ: سَوَّى بَيْنَهُمْ فِي الْعُقُوبَةِ. وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا أَيُّ: تَبِعَتْهَا.

وَكَيْفَ يَخَافُ مَنْ هُوَ قَاهِرٌ، لَا يَخْرُجُ عَنْ قَهْرِهِ وَتَصَرُّفِهِ مَخْلُوقٌ، الْحَكِيمُ فِي كُلِّ مَا قَضَاهُ وَشَرَعَهُ؟

تَمَّتْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ وَاللَّيْلِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَمَّا مَنَ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنَ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى

هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ بِالزَّمَانِ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ أَفْعَالُ الْعِبَادِ عَلَى تَفَاوُتِ أَحْوَالِهِمْ، فَقَالَ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى أَي: يَعْصَمُ الْخَلْقَ بِظُلَامِهِ، فَيَسْكُنُ كُلُّ إِلَى مَأْوَاهُ وَمَسْكَنِهِ، وَيَسْتَرِيحُ الْعِبَادُ مِنَ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ.

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى لِلْخَلْقِ، فَاسْتَضَاءُوا بِنُورِهِ، وَانْتَشَرُوا فِي مَصَالِحِهِمْ.

وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى إِنَّ كَانَتْ «مَا» مَوْصُولَةً، كَانَ إِقْسَامًا بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمَوْصُوفَةِ، بِكَوْنِهِ خَالِقَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، وَإِنْ كَانَتْ مُصَدَّرِيَّةً، كَانَ قَسَمًا بِخَلْقِهِ لِلذَّكَرِ وَالْأُنثَى، وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ فِي ذَلِكَ أَنْ خَلَقَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُرِيدُ بَقَاءَهَا ذَكَرًا وَأُنثَى، لِيَبْقَى النَّوْعُ وَلَا يَضْمَحِلَّ، وَقَادَ كُلًّا مِنْهُمَا إِلَى الْآخِرِ بِسِلْسِلَةِ الشَّهْوَةِ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا مُنَاسِبًا لِلْآخِرِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ.

وَقَوْلُهُ: إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ أَي: إِنَّ سَعْيَكُمْ أَيُّهَا الْمُكَلَّفُونَ لِمُتَفَاوُتِ تَفَاوُتًا كَثِيرًا، وَذَلِكَ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ نَفْسِ الْأَعْمَالِ وَمِقْدَارِهَا وَالتَّشَاطُ فِيهَا، وَبِحَسَبِ الْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ، هَلْ هُوَ وَجْهُ اللَّهِ الْأَعْلَى الْبَاقِي؟ فَيَبْقَى الْعَمَلُ لَهُ بِبَقَائِهِ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ صَاحِبُهُ، أَمْ هِيَ غَايَةٌ مُضْمَحَلَّةٌ فَانِيَّةٌ، فَيَبْطُلُ

السَّعْيُ بِبَطْلَانِهَا، وَيَضْمَحِلُّ بِاضْمِحْلَالِهَا؟

وَهَذَا كُلُّ عَمَلٍ يُقْصَدُ بِهِ غَيْرُ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، بِهَذَا الْوَصْفِ، وَلِهَذَا فَصَّلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَامِلِينَ، وَوَصَفَ أَعْمَالَهُمْ، فَقَالَ: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ أَيُّ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ، كَالزَّكَّاتِ، وَالنَّفَقَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ، وَالصَّدَقَاتِ، وَالْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، وَالْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ كَالصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ وَغَيْرِهِمَا. وَالْمُرَكَّبَةِ مِنْ ذَلِكَ، كَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَنَحْوَهُمَا وَاتَّقَىٰ مَا نَهَىٰ عَنْهُ، مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَعَاصِي، عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا.

وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ أَيُّ: صَدَّقَ بِ« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، مِنْ جَمِيعِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، وَمَا تَرْتَبَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَزَاءِ الْأُخْرَوِيِّ.

فَسُنِّيَسْرُهُ لِلْيُسْرَىٰ أَيُّ: نُسِرَ لَهُ أَمْرُهُ، وَنَجَعْلُهُ مُسَهَّلًا لَهُ كُلُّ خَيْرٍ، مُيسِّرًا لَهُ تَرْكُ كُلِّ شَرٍّ، لِأَنَّهُ أَتَىٰ بِأَسْبَابِ التَّيسِيرِ، فَيَسِّرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ، فَتَرَكَ الْإِنْفَاقَ الْوَاجِبَ وَالْمُسْتَحَبَّ، وَلَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِإِدَاءِ مَا وَجَبَ لِلَّهِ، وَاسْتَعْنَىٰ عَنِ اللَّهِ، فَتَرَكَ عِبُودِيَّتَهُ جَانِبًا، وَلَمْ يَرِ نَفْسَهُ مُفْتَقِرَةً غَايَةَ الْإِفْتِقَارِ إِلَىٰ رَبِّهَا، الَّذِي لَا نَجَاةَ لَهَا وَلَا فَوْزَ وَلَا فَلَاحَ، إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ هُوَ مَحْبُوبُهَا وَمَعْبُودُهَا، الَّذِي تَقْصِدُهُ وَتَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ.

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ أَيُّ: بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَىٰ الْعِبَادِ التَّصَدِيقَ بِهِ مِنَ الْعَقَائِدِ الْحَسَنَةِ.

فَسُنِّيَسْرُهُ لِلْعُسْرَىٰ أَيُّ: لِلْحَالَةِ الْعُسْرَةِ، وَالْخِصَالِ الدَّمِيمَةِ، بِأَنْ يَكُونَ مُيسِّرًا لِلشَّرِّ أَيْنَمَا كَانَ، وَمُقَيِّضًا لَهُ أَفْعَالِ الْمَعَاصِي، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ الَّذِي أَطْعَاهُ وَاسْتَعْنَىٰ بِهِ، وَبَخِلَ بِهِ إِذَا هَلَكَ وَمَاتَ، فَإِنَّهُ لَا يَصْحَبُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَمَلُهُ الصَّالِحُ. وَأَمَّا مَالُهُ الَّذِي لَمْ يُخْرِجْ مِنْهُ الْوَاجِبَ فَإِنَّهُ يَكُونُ وَبَالًا عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يُقَدِّمْ مِنْهُ لِأَخْرَجِهِ شَيْئًا.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ أَيْ: إِنَّ الْهُدَى الْمُسْتَقِيمَ طَرِيقُهُ، يُوصَلُ إِلَى اللَّهِ، وَيُذْنِي مِنْ رِضَاهُ، وَأَمَّا الضَّلَالُ، فَطُرُقٌ مَسْدُودَةٌ عَنِ اللَّهِ، لَا تُوصَلُ صَاحِبَهَا إِلَّا لِلْعَذَابِ الشَّدِيدِ.

وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ مَلَكًا وَتَصْرُفًا، لَيْسَ لَهُ فِيهِمَا مُشَارِكٌ، فَلْيَرْغَبِ الرَّاعِبُونَ إِلَيْهِ فِي الطَّلَبِ، وَلْيَنْقَطِعْ رَجَاؤُهُمْ عَنِ الْمَخْلُوقِينَ.

فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ أَيْ: تَسْتَعِرُّ وَتَتَوَقَّدُ.

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ بِالْخَيْرِ وَتَوَلَّىٰ عَنِ الْأَمْرِ. وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ بِأَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ بِهِ تَزَكِيَّةً نَفْسِهِ، وَتَطْهِيرُهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَدْنَسِ، قَاصِدًا بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَىٰ، فَدَلَّ هَذَا عَلَىٰ أَنَّهُ إِذَا تَضَمَّنَ الْإِنْفَاقَ الْمُسْتَحَبَّ تَرَكَ وَاجِبًا، كَدَيْنٍ وَنَفَقَةٍ وَنَحْوِهِمَا، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَشْرُوعٍ، بَلْ تَكُونُ عَطِيَّتُهُ مَرْدُودَةً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، لِأَنَّهُ لَا يَتَزَكَّىٰ بِفِعْلِ مُسْتَحَبٍّ يُفَوِّتُ عَلَيْهِ الْوَاجِبَ.

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ أَيْ: لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَىٰ هَذَا الْأَتْقَى نِعْمَةٌ تُجْزَىٰ إِلَّا وَقَدْ كَافَأَهُ عَلَيْهَا، وَرُبَّمَا بَقِيَ لَهُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ عَلَى النَّاسِ، فَتَمَحَّضَ عَبْدًا لِلَّهِ، لِأَنَّهُ رَقِيقٌ إِحْسَانِهِ وَحَدُهُ، وَأَمَّا مَنْ بَقِيَ عَلَيْهِ نِعْمَةُ النَّاسِ لَمْ يَجْزَها وَيُكَافِئْها، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتَرَكَ لِلنَّاسِ، وَيَفْعَلَ لَهُمْ مَا يَنْقُصُ إِخْلَاصَهُ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَنَاوِلَةً لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْ قَدْ قِيلَ إِنَّهَا نَزَلَتْ بِسَبَبِهِ، فَإِنَّهُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ، حَتَّىٰ وَلَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا نِعْمَةَ الرَّسُولِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ جَزَاؤُهَا، وَهِيَ نِعْمَةُ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَتَعْلِيمِ الْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، فَإِنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ الْمِنَّةَ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ، مِنْهُ لَا يُمَكِّنُ لَهَا جَزَاءً وَلَا مُقَابَلَةً، فَإِنَّهَا مُتَنَاوِلَةٌ لِكُلِّ مَنْ أُتِصِفَ بِهَذَا الْوَصْفِ الْفَاضِلِ، فَلَمْ يَبْقَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ نِعْمَةٌ تُجْزَىٰ، فَبَقِيََتْ أَعْمَالُهُ خَالِصَةً لِرُؤْجِهِ اللَّهُ تَعَالَىٰ.

وَلِهَذَا قَالَ: إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ هَذَا الْأَتْقَى بِمَا يُعْطِيهِ اللَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكِرَامَاتِ وَالْمَثُوبَاتِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ وَالضُّحَى

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلِآخِرَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَفْهَرُ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

أَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّهَارِ إِذَا انْتَشَرَ ضِيَاؤُهُ بِالضُّحَى، وَبِاللَّيْلِ إِذَا سَجَى وَادَّهَمَّتْ ظُلْمَتُهُ، عَلَى اعْتِنَاءِ اللَّهِ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ أَي: مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اعْتَنَى بِكَ، وَلَا أَهْمَلَكَ مُنْذُ رَبَّاكَ وَرَعَاكَ، بَلْ لَمْ يَزَلْ يُرَبِّيكَ أَكْمَلَ تَرْبِيَةً، وَيُعَلِّيكَ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ.

وَمَا قَلَى كَ اللَّهُ أَي: مَا أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ، فَإِنَّ نَفْيَ الضِّدِّ دَلِيلٌ عَلَى ثُبُوتِ ضِدِّهِ، وَالنَّفْيُ الْمَحْضُ لَا يَكُونُ مَدْحًا، إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ ثُبُوتَ كَمَالٍ، فَهَذِهِ حَالُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَاضِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ، أَكْمَلُ حَالٍ وَأَتْمَمَهَا، مَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ وَاسْتِمْرَارُهَا، وَتَرْقِيَّتُهُ فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ، وَدَوَامِ اعْتِنَاءِ اللَّهِ بِهِ.

وَأَمَّا حَالُهُ الْمُسْتَقْبَلَةُ، فَقَالَ: وَلِآخِرَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى أَي: كُلُّ حَالَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْ أَحْوَالِكَ، فَإِنَّ لَهَا الْفَضْلَ عَلَى الْحَالَةِ السَّابِقَةِ.

فَلَمْ يَزَلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْعَدُ فِي دَرَجَاتِ الْمَعَالِي وَيُمْكِنُ اللَّهُ لَهُ دِينَهُ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَيُسَدِّدُهُ أَحْوَالَهُ، حَتَّى مَاتَ، وَقَدْ وَصَلَ إِلَى حَالٍ مَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ، مِنَ الْفَضَائِلِ وَالنِّعَمِ، وَقُرَّةِ الْعَيْنِ، وَسُرُورِ الْقَلْبِ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ، لَا تَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ تَفَاصِيلِ الْإِكْرَامِ، وَأَنْوَاعِ الْإِنْعَامِ، وَلِهَذَا قَالَ: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُمَكِّنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِغَيْرِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ الْجَامِعَةِ الشَّامِلَةِ.

ثُمَّ امْتَنَّ عَلَيْهِ بِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ أَحْوَالِهِ الْخَاصَّةِ فَقَالَ: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى أَيُّ: وَجَدَكَ لَا أُمَّ لَكَ، وَلَا أَبَ، بَلْ قَدْ مَاتَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَهُوَ لَا يُدَبِّرُ نَفْسَهُ، فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَكَفَّلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، ثُمَّ لَمَّا مَاتَ جَدُّهُ كَفَّلَهُ اللَّهُ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، حَتَّى آيَدُهُ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ.

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى أَيُّ: وَجَدَكَ لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ، فَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَوَفَّقَكَ لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ.

وَوَجَدَكَ عَائِلًا أَيُّ: فَقِيرًا فَاعْنَى بِمَا فَتَحَ عَلَيْكَ مِنَ الْبُلْدَانِ، الَّتِي جُبَيْتَ لَكَ أَمْوَالُهَا وَخَرَّاجُهَا.

فَالَّذِي أزالَ عَنْكَ هَذِهِ النَّقَائِصَ، سَيَزِيلُ عَنْكَ كُلَّ نَقْصٍ، وَالَّذِي أَوْصَلَكَ إِلَى الْعِنَى، وَأَوَاكَ وَنَصَرَكَ وَهَدَاكَ، قَابَلَ نِعْمَتَهُ بِالشُّكْرِ.

وَلِهَذَا قَالَ: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ أَيُّ: لَا تُسَيِّئْ مُعَامَلَةَ الْيَتِيمِ، وَلَا يَضِقْ صَدْرُكَ عَلَيْهِ، وَلَا تَنْهَرْهُ، بَلْ أَكْرِمْهُ، وَأَعْطِهِ مَا تَيَسَّرَ، وَاصْنَعْ بِهِ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُصْنَعَ بِوَلَدِكَ مِنْ بَعْدِكَ.

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ أَيُّ: لَا يَصْدُرُ مِنْكَ كَلَامٌ لِلْسَّائِلِ يَقْتَضِي رُدَّهُ عَنْ مَطْلُوبِهِ، بِنَهْرٍ وَشَرَّاسَةٍ خُلِقَ، بَلْ أَعْطِهِ مَا تَيَسَّرَ عِنْدَكَ أَوْ رُدَّهُ بِمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانٍ. وَيَدْخُلُ فِي هَذَا السَّائِلُ لِلْمَالِ، وَالسَّائِلُ لِلْعِلْمِ، وَلِهَذَا كَانَ الْمُعَلِّمُ مَأْمُورًا بِحُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ الْمُتَعَلِّمِ، وَمُبَاشَرَتِهِ بِالْإِكْرَامِ وَالتَّحْنُنِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مَعُونَةً لَهُ عَلَى مَقْصِدِهِ، وَإِكْرَامًا لِمَنْ كَانَ يَسْعَى فِي نَفْعِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ.

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ وَهَذَا يَشْمَلُ النِّعَمَ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ فَحَدِّثْ أَيُّ: أَتَى عَلَى اللَّهِ بِهَا، وَخُصَّهَا بِالذِّكْرِ إِنْ كَانَ هُنَاكَ مَصْلَحَةٌ.

وَالْأَفْحَدُثَ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَإِنَّ التَّحَدُّثَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، دَاعٍ لِشُكْرِهَا، وَمُوجِبٌ لِتَحْيِيْبِ الْقُلُوبِ إِلَى مَنْ أَنْعَمَ بِهَا، فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَجْبُولَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ الْمُحْسِنِ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ

صَدْرِكَ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ

يَقُولُ تَعَالَى -مُؤْتَمِّنًا عَلَىٰ رَسُولِهِ-: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ أَي: نُوسِّعُهُ لِشَرَائِعِ الدِّينِ وَالِدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ، وَالِاتِّصَافِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالِإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ، وَتَسْهِيلِ الْخَيْرَاتِ فَلَمْ يَكُنْ ضَيِّقًا حَرَجًا، لَا يَكَادُ يَنْقَادُ لِخَيْرٍ، وَلَا تَكَادُ تَجِدُهُ مُنْبَسِطًا.

وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ أَي: ذَنْبَكَ، الَّذِي أَنْقَضَ أَي: أَثْقَلَ ظَهْرَكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ .

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ أَي: أَعْلَيْنَا قَدْرَكَ، وَجَعَلْنَا لَكَ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ الْعَالِيَّ، الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، فَلَا يُذَكَّرُ اللَّهُ إِلَّا ذَكَرَ مَعَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي الْأَذَانِ، وَالِإِقَامَةِ، وَالْخُطْبِ...، وَعَظِيمِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَعْلَى اللَّهُ بِهَا ذِكْرَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَهُ فِي قُلُوبِ أُمَّتِهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالِإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ، بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ.

وَقَوْلُهُ: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ، أَنَّهُ كَلَّمَا وَجِدَ عُسْرٌ وَصُعُوبَةٌ، فَإِنَّ الْيُسْرَ يُقَارِنُهُ وَيُصَاحِبُهُ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلَ الْعُسْرُ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلَ عَلَيْهِ الْيُسْرُ، فَأَخْرَجَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ

عُسْرٍ يُسْرًا وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَإِنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ».

وَتَعْرِيفُ « الْعُسْرِ » فِي الْآيَتَيْنِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ، وَتَنْكِيرُ « الْيُسْرِ » يَدُلُّ عَلَى تَكَرُّرِهِ، فَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ.

وَفِي تَعْرِيفِهِ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ، الدَّالُّ عَلَى الْإِسْتِغْرَاقِ وَالْعُمُومِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ عُسْرٍ -وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الصُّعُوبَةِ مَا بَلَغَ- فَإِنَّهُ فِي آخِرِهِ التَّيْسِيرُ مُلَازِمٌ لَهُ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَصْلًا وَالْمُؤْمِنِينَ تَبَعًا، بِشُكْرِهِ وَالْقِيَامِ بِوَاجِبِ نِعَمِهِ، فَقَالَ: فَإِذَا فَرَعْتَ فَانصَبْ أَي: إِذَا تَفَرَّغْتَ مِنْ أَشْغَالِكَ، وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِكَ مَا يُعْوقُهُ، فَاجْتَهِدْ فِي الْعِبَادَةِ وَالِدُّعَاءِ.

وَإِلَى رَبِّكَ وَحْدَهُ فَارْغَبْ أَي: أَعْظِمِ الرَّغْبَةَ فِي إِجَابَةِ دُعَائِكَ وَقَبُولِ دَعْوَاتِكَ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ إِذَا فَرَعُوا لَعِبُوا وَأَعْرَضُوا عَنْ رَبِّهِمْ وَعَنْ ذِكْرِهِ، فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى هَذَا: فَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَكْمَلْتَهَا، فَانصَبْ فِي الدُّعَاءِ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ فِي سُؤْلِ مُطَالِبِكَ.

وَاسْتَدَلَّ مَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ، عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ عَقِبَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ تَمَّتْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ وَالتِّينِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ

«التِّينُ» هُوَ التِّينُ الْمَعْرُوفُ، وَكَذَلِكَ «الزَّيْتُونُ» أَقْسَمَ بِهِاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ، لِكثْرَةِ مَنَافِعِ شَجَرِهِمَا وَثَمَرِهِمَا، وَلِأَنَّ سُلْطَانَهُمَا فِي أَرْضِ الشَّامِ، مَحَلُّ نُبُوَّةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَطُورِ سِينِينَ أَي: طُورُ سَيْنَاءَ، مَحَلُّ نُبُوَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ وَهِيَ: مَكَّةُ الْمُكْرَمَةُ، مَحَلُّ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِهَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُقَدَّسَةِ، الَّتِي اخْتَارَهَا وَابْتَعَثَ مِنْهَا أَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَشْرَفَهُمْ.

وَالْمَقْسَمُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ أَي: تَأَمَّنِ الْخَلْقِ، مُتَنَاسِبِ الْأَعْضَاءِ، مُتَنَصِّبِ الْقَامَةِ، لَمْ يَفْقِدْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا شَيْئًا، وَمَعَ هَذِهِ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي يَنْبَغِي مِنْهُ الْقِيَامُ بِشُكْرِهَا، فَأَكْثَرَ الْخَلْقِ مُنْحَرِفُونَ عَنِ شُكْرِ الْمُنْعَمِ، مُشْتَعِلُونَ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، قَدْ رَضُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِأَسْفَلِ الْأُمُورِ، وَسَفْسَافِ الْأَخْلَاقِ، فَزَدَهُمُ اللَّهُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ، أَي: أَسْفَلَ النَّارِ، مَوْضِعِ الْعَصَاةِ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى رَبِّهِمْ، إِلَّا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الْعَالِيَةِ، فَلَهُمْ بِذَلِكَ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ، وَ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ أَي: غَيْرُ مَقْطُوعٍ، بَلْ لَدَاتُ مُتَوَافِرَةٌ، وَأَفْرَاحُ مُتَوَاتِرَةٌ، وَنِعْمٌ مُتَكَثِرَةٌ، فِي أَبَدٍ لَا يَزُولُ، وَنَعِيمٌ لَا يُحَوَّلُ، أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا، فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ أَي: أَيُّ شَيْءٍ يُكَذِّبُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَقَدْ رَأَيْتَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ مَا بِهِ يَحْصُلُ لَكَ بِهِ الْيَقِينُ، وَمِنْ نِعْمِهِ مَا يُوجِبُ عَلَيْكَ أَنْ

لَا تَكْفُرْ بِشَيْءٍ مِنْهَا، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ فَهَلْ تَقْتَضِي حِكْمَتُهُ أَنْ يَتْرِكَ الْخَلْقَ سُدىً لَا يُؤْمَرُونَ وَلَا يُنْهَوْنَ، وَلَا يُتَابُونَ وَلَا يُعَاقَبُونَ؟

أَمْ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ أَطْوَارًا بَعْدَ أَطْوَارٍ، وَأَوْصَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ وَالْخَيْرِ وَالْبِرِّ مَا لَا يُحْصُونَهُ، وَرَبَّاهُمْ التَّرْبِيَةَ الْحَسَنَةَ، لَا بُدَّ أَنْ يُعِيدَهُمْ إِلَى دَارِ هِيَ مُسْتَقَرُّهُمْ وَغَايَتُهُمْ، الَّتِي إِلَيْهَا يَقْصِدُونَ، وَنَحْوَهَا يُؤْمَرُونَ.

تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ اقْرَأْ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى أَنْ رآه اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ

هَذِهِ السُّورَةُ أَوَّلُ السُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ نُزُولًا عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِنَّهَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ فِي مَبَادِي النُّبُوَّةِ، إِذْ كَانَ لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالرِّسَالَةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ، فَامْتَنَعَ، وَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ قَرَأَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ عُمُومَ الْخَلْقِ، ثُمَّ خَصَّ الْإِنْسَانَ، وَذَكَرَ ابْتِدَاءَ خَلْقِهِ مِنْ عَلَقٍ فَالَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَاعْتَنَىٰ بِتَدْيِيرِهِ، لَا بُدَّ أَنْ يُدَبِّرَهُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَذَلِكَ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنزَالِ الْكُتُبِ، وَلِهَذَا أَنَّى بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْقِرَاءَةِ، بِخَلْقِهِ لِلْإِنْسَانِ.

ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ أَيُّ: كَثِيرُ الصِّفَاتِ وَاسِعُهَا، كَثِيرُ الْكِرَمِ وَالْإِحْسَانِ، وَاسِعُ الْجُودِ، الَّذِي مِنْ كَرَمِهِ أَنْ عَلَّمَ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ.

وَ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ أَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا، وَجَعَلَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ، وَيَسَّرَ لَهُ أَسْبَابَ الْعِلْمِ. فَعَلَّمَهُ الْقُرْآنَ، وَعَلَّمَهُ الْحِكْمَةَ، وَعَلَّمَهُ بِالْقَلَمِ، الَّذِي بِهِ تُحْفَظُ الْعُلُومُ، وَتُضْبَطُ الْحُقُوفُ، وَتَكُونُ رُسُلًا لِلنَّاسِ تَنْوِبُ مَنْابَ خِطَابِهِمْ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، الَّذِي أَنْعَمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِهِذِهِ

النَّعْمِ الَّتِي لَا يَقْدِرُونَ لَهَا عَلَى جَزَاءٍ وَلَا شُكُورٍ، ثُمَّ مَنْ عَلَيْهِم بِالْغِنَى وَسَعَةِ الرِّزْقِ، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ -لِجَهْلِهِ وَظُلْمِهِ- إِذَا رَأَى نَفْسَهُ غَنِيًّا، طَعَى وَبَعَى وَتَجَبَّرَ عَنِ الْهُدَى، وَنَسِيَ أَنَّ إِلَى رَبِّهِ الرَّجْعَى، وَلَمْ يُخْفِ الْجَزَاءَ، بَلْ رَبَّمَا وَصَلَتْ بِهِ الْحَالُ أَنَّهُ يَتْرُكُ الْهُدَى بِنَفْسِهِ، وَيَدْعُو غَيْرَهُ إِلَى تَرْكِهِ، فَيَنْهَى عَنِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ. يَقُولُ اللَّهُ لِهَذَا الْمُتَمَرِّدِ الْعَاتِي: أَرَأَيْتَ أَيُّهَا النَّاهِي لِلْعَبْدِ إِذَا صَلَّى إِنْ كَانَ الْعَبْدُ الْمُصَلِّي عَلَى الْهُدَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ، أَوْ أَمَرَ غَيْرَهُ بِالتَّقْوَى .

فَهَلْ يُحَسِّنُ أَنْ يُنْهَى مَنْ هَذَا وَصَفُهُ؟ أَلَيْسَ نَهْيُهُ، مَنْ أَعْظَمِ الْمُحَادَّةِ لِلَّهِ، وَالْمُحَارَبَةِ لِلْحَقِّ؟ فَإِنَّ النَّهْيَ، لَا يَتَوَجَّهُ إِلَّا لِمَنْ هُوَ فِي نَفْسِهِ عَلَى غَيْرِ الْهُدَى، أَوْ كَانَ يَأْمُرُ غَيْرَهُ بِخِلَافِ التَّقْوَى.

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ النَّاهِي بِالْحَقِّ وَتَوَلَّى عَنِ الْأَمْرِ، أَمَا يَخَافُ اللَّهُ وَيَخْشَى عِقَابَهُ؟

أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى مَا يَعْمَلُ وَيَفْعَلُ؟.

ثُمَّ تَوَعَّدَهُ إِنْ اسْتَمَرَّ عَلَى حَالِهِ، فَقَالَ: كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهَ عَمَّا يَقُولُ وَيَفْعَلُ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ أَيُّ: لِنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ، أَخْذًا عَنِيفًا، وَهِيَ حَقِيقَةُ بَدَلِكَ، فَإِنَّهَا نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ أَيُّ: كَاذِبَةٌ فِي قَوْلِهَا، خَاطِئَةٌ فِي فِعْلِهَا.

فَلْيَدْعُ هَذَا الَّذِي حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ نَادِيَهُ أَيُّ: أَهْلَ مَجْلِسِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ حَوْلَهُ، لِيُعِينُوهُ عَلَى مَا نَزَلَ بِهِ، سَنَدْعُ الرِّبَابِيَّةَ أَيُّ: خَزَنَةَ جَهَنَّمَ، لِأَخْذِهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَقْوَى وَأَقْدَرُ؟ فَهَذِهِ حَالَةُ النَّاهِي وَمَا تَوَعَّدَ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَأَمَّا حَالَةُ الْمُنْهَيِّ، فَأَمْرُهُ اللَّهُ أَنْ لَا يَصْغَى إِلَى هَذَا النَّاهِي وَلَا يَنْقَادَ لِنَهْيِهِ فَقَالَ: كَلَّا لَا تُطْعَهُ أَيُّ: فَإِنَّهُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا فِيهِ الْخَسَارُ، وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ وَاقْتَرِبْ مِنْهُ فِي السُّجُودِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، فَإِنَّهَا كُلُّهَا تُدْنِي مِنْ رِضَاهُ وَتُقَرِّبُ مِنْهُ.

وَهَذَا عَامٌّ لِكُلِّ نَاهٍ عَنِ الْخَيْرِ وَمَنْهِيٍّ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَتْ نَازِلَةً فِي شَأْنِ أَبِي جَهْلٍ حِينَ نَهَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ، وَعَدَّبَهُ وَأَذَاهُ. تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تفسير سورة القدر

وهي مكّية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ

يَقُولُ تَعَالَى مُبَيِّنًا لِفَضْلِ الْقُرْآنِ وَعُلُوِّ قَدْرِهِ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْتَدَأَ بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَرَحِمَ اللَّهُ بِهَا الْعِبَادَ رَحْمَةً عَامَّةً، لَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ لَهَا شُكْرًا.

وَسُمِّيَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لِعَظَمِ قَدْرِهَا وَفَضْلِهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنَّهُ يُقَدَّرُ فِيهَا مَا يَكُونُ فِي الْعَامِ مِنَ الْأَجَلِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْمَقَادِيرِ الْقَدَرِيَّةِ.

ثُمَّ فَحَمَّ شَأْنَهَا، وَعَظَّمَ مِقْدَارَهَا فَقَالَ: وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَيُّ: فَإِنَّ شَأْنَهَا جَلِيلٌ، وَخَطَرَهَا عَظِيمٌ.

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ أَيُّ: تُعَادِلُ مِنْ فَضْلِهَا أَلْفَ شَهْرٍ، فَالْعَمَلُ الَّذِي يَقَعُ فِيهَا، خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ خَالِيَةٍ مِنْهَا، وَهَذَا مِمَّا تَتَحَيَّرُ فِيهِ الْأَبَابُ، وَتَنْدَهَشُ لَهُ الْعُقُولُ، حَيْثُ مَنْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الضَّعِيفَةِ الْقُوَّةَ وَالْقُوَى، بَلِيَّةٍ يَكُونُ الْعَمَلُ فِيهَا يُقَابِلُ وَيَزِيدُ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ، عُمَرُ رَجُلٍ مُعَمَّرٍ عُمُرًا طَوِيلًا نَيْفًا وَثَمَانِينَ سَنَةً.

تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا أَيُّ: يَكْثُرُ نُزُولُهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ أَيُّ: سَالِمَةٌ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَشَرٍّ، وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ خَيْرِهَا، حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ أَيُّ: مُبْتَدَأَهَا مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَمُنْتَهَاهَا طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَقَدْ تَوَاتَرَتْ

تَفْسِيرُ سُورَةِ لَمْ يَكُنْ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ

يَقُولُ تَعَالَى: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَيْ: مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الْأُمَمِ.

مُنْفَكِّينَ عَنْ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، أَيْ: لَا يَزَالُونَ فِي غِيْبِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، لَا يَزِيدُهُمْ مُرُورُ الْأَوْقَاتِ إِلَّا كُفْرًا. حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ الْوَاضِحَةُ، وَالْبُرْهَانُ السَّاطِعُ، ثُمَّ فَسَّرَ تِلْكَ الْبَيِّنَةَ فَقَالَ: رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ أَيْ: أَرْسَلَهُ اللَّهُ، يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا يَتْلُوهُ، لِيَعْلَمَ النَّاسُ الْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيَهُمْ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَلِهَذَا قَالَ: يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً أَيْ: مَحْفُوظَةً مِنْ قُرْبَانِ الشَّيَاطِينِ، لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، لِأَنَّهَا أَعْلَى مَا يَكُونُ مِنَ الْكَلَامِ.

وَلِهَذَا قَالَ عَنْهَا: فِيهَا أَيْ: فِي تِلْكَ الصُّحُفِ كُتِبَ قِيمَةٌ أَيْ: أَخْبَارٌ صَادِقَةٌ، وَأَوَامِرٌ عَادِلَةٌ تَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَإِذَا جَاءَتْهُمْ هَذِهِ الْبَيِّنَةُ، فَحِينَئِذٍ يَتَّبِعُونَ طَالِبُ الْحَقِّ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ مَقْصِدٌ فِي طَلْبِهِ، فَيَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ.

وَإِذَا لَمْ يُؤْمِنِ أَهْلُ الْكِتَابِ لِهَذَا الرَّسُولِ وَيَنقَادُوا لَهُ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بَبَدْعٍ مِنْ ضَلَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَإِنَّهُمْ مَا تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا وَصَارُوا أَحْزَابًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ الَّتِي تُوجِبُ لِأَهْلِهَا الْاجْتِمَاعَ وَالِاتِّفَاقَ، وَلَكِنَّهُمْ لِرِدَائِعِهِمْ وَنَدَائِعِهِمْ، لَمْ يَزِدْهُمْ الْهُدَى إِلَّا ضَلَالًا وَلَا الْبَصِيرَةَ إِلَّا عَمَى، مَعَ أَنَّ الْكُتُبَ كُلَّهَا جَاءَتْ بِأَصْلِ وَاحِدٍ، وَدِينٍ وَاحِدٍ فَمَا أُمِرُوا فِي سَائِرِ الشَّرَائِعِ إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أَيُّ: قَاصِدِينَ بِجَمِيعِ عِبَادَاتِهِمِ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ وَجَهَ اللَّهَ، وَطَلَبَ الرِّزْقَى لَدَيْهِ، حُنْفَاءَ أَيُّ: مُعْرِضِينَ مَائِلِينَ عَنِ سَائِرِ الْأَدْيَانِ الْمُخَالَفَةِ لِذَيْنِ التَّوْحِيدِ. وَخَصَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّهُمَا دَاخِلَانِ فِي قَوْلِهِ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِفَضْلِهِمَا وَشَرَفِهِمَا، وَكُونِهِمَا الْعِبَادَتَيْنِ اللَّتَيْنِ مِنْ قَامَ بِهِمَا قَامَ بِجَمِيعِ شَرَائِعِ الدِّينِ.

وَذَلِكَ أَيُّ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الدِّينِ، هُوَ دِينُ الْقِيَمَةِ أَيُّ: الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمُوَصَّلُ إِلَى جَنَاتِ النَّعِيمِ، وَمَا سِوَاهُ فَطُرُقٌ مُوَصَّلَةٌ إِلَى الْجَحِيمِ.

ثُمَّ ذَكَرَ جَزَاءَ الْكَافِرِينَ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ عَذَابُهَا، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ عِقَابُهَا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَهُمْ فِيهَا مُبْلِسُونَ، أَوْلِيكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا الْحَقَّ وَتَرَكَوهُ، وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَوْلِيكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ لِأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللَّهَ وَعَرَفُوهُ، وَفَازُوا بِنِعَمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ عَدْنٌ أَيُّ: جَنَاتٌ إِقَامَةٌ، لَا ظُعْنَ فِيهَا وَلَا رَحِيلَ، وَلَا طَلَبَ لِغَايَةٍ فَوْقَهَا، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ فَرَضِيَ عَنْهُمْ بِمَا قَامُوا بِهِ مِنْ مَرَاضِيهِ، وَرَضُوا عَنْهُ، بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ وَجَزِيلِ الْمُثُوبَاتِ ذَلِكَ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ أَيُّ: لِمَنْ خَافَ اللَّهَ، فَأَحْجَمَ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَقَامَ بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ .

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ .

تَفْسِيرُ سُورَةِ إِذَا زُلْزَلَتْ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يُكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَنْزَلُ وَتَرْجُفُ وَتَرْتَجُ، حَتَّى يَسْقُطَ مَا عَلَيْهَا مِنْ بِنَائٍ وَمَعْلَمٍ

فَتَنْدُكُ جِبَالُهَا، وَتُسَوَّى تِلَالُهَا، وَتَكُونُ قَاعًا صَفْصَفًا لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا أَمْتٌ.

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا أَي: مَا فِي بَطْنِهَا، مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْكُنُوزِ.

وَقَالَ الْإِنْسَانُ إِذَا رَأَى مَا عَرَّاهَا مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ مُسْتَعْظِمًا لِذَلِكَ: مَا لَهَا؟ أَي: أَيُّ شَيْءٍ عَرَضَ لَهَا؟

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ الْأَرْضُ أَخْبَارَهَا أَي: تَشْهَدُ عَلَى الْعَامِلِينَ بِمَا عَمِلُوا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَإِنَّ الْأَرْضَ مِنْ جُمْلَةِ الشُّهُودِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ عَلَى الْعِبَادِ بِأَعْمَالِهِمْ، ذَلِكَ بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا أَي: أَمَرَهَا أَنْ تُخْبِرَ بِمَا عَمِلَ عَلَيْهَا، فَلَا تَعْصِي لِأَمْرِهِ.

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ مِنْ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، حِينَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَهُمْ أَشْتَاتًا أَي: فِرْقًا مُتَفَاوِتِينَ. لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ أَي: لِيُرِيَهُمُ اللَّهُ مَا عَمِلُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَاتِ، وَيُرِيَهُمْ جَزَاءَهُ مَوْفَرًا.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ
وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ
رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ

أَفْسَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْخَيْلِ، لِمَا فِيهَا مِنْ آيَاتِهِ الْبَاهِرَةِ، وَنِعْمِ الظَّاهِرَةُ، مَا هُوَ مَعْلُومٌ لِلْخَلْقِ.

وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِهَا فِي الْحَالِ الَّتِي لَا يُشَارِكُهَا فِيهِ غَيْرُهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ، فَقَالَ: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا أَي: الْعَادِيَاتُ عَدَوْا بَلِيغًا قَوِيًّا، يَصْدُرُ عَنْهُ الضَّحُّ، وَهُوَ صَوْتُ نَفْسِهَا فِي صَدْرِهَا، عِنْدَ اسْتِدَادِ عَدُوِّهَا.

فَالْمُورِيَاتِ بِحَوَافِرِهِنَّ مَا يَطَّانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْجَارِ قَدْحًا أَي: تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ صَلَابَةِ حَوَافِرِهِنَّ وَقُوَّتِهِنَّ إِذَا عَدَوْنَ، فَالْمُغِيرَاتِ عَلَى الْأَعْدَاءِ صُبْحًا وَهَذَا أَمْرٌ أَعْلَبِيٌّ، أَنَّ الْعَارَةَ تَكُونُ صَبَاحًا، فَأَثَرْنَ بِهِ أَي: بَعْدَوِهِنَّ وَغَارَتِهِنَّ نَقْعًا أَي: غُبَارًا، فَوَسَطْنَ بِهِ أَي: بَرَكَبِهِنَّ جَمْعًا أَي: تَوَسَّطْنَ بِهِ جُمُوعَ الْأَعْدَاءِ، الَّذِينَ أَخَارَ عَلَيْهِمْ.

وَالْمَقْسَمُ عَلَيْهِ، قَوْلُهُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ أَي: مَنُوعٌ لِلْخَيْرِ الَّذِي لِلَّهِ عَلَيْهِ. فَطَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ وَجِبَلَتُهُ، أَنَّ نَفْسَهُ لَا تَسْمَحُ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ، فَتُؤَدِّيهِهَا كَامِلَةً مُؤَفَّرَةً، بَلْ طَبِيعَتُهَا الْكَسَلُ وَالْمَنَعُ لِمَا عَلَيْهَا مِنَ الْحُقُوقِ الْمَالِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ وَخَرَجَ عَنْ هَذَا الْوَصْفِ إِلَى وَصْفِ السَّمَّاحِ بِأَدَاءِ الْحُقُوقِ، وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ أَي: إِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ مَا يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْمَنَعِ وَالْكَنَدِ لَشَاهِدٌ بِذَلِكَ، لَا يَجْحَدُهُ وَلَا يُنْكِرُهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ بَيِّنٌ وَاضِحٌ. وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَي: إِنَّ الْعَبْدَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَاللَّهُ

شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ، فَفِيهِ الْوَعِيدُ، وَالتَّهْدِيدُ الشَّدِيدُ، لِمَنْ هُوَ لِرَبِّهِ كَنُودٌ، بَأَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ شَهِيدٌ.

وَإِنَّهُ أَيُّ: الْإِنْسَانُ لِحُبِّ الْخَيْرِ أَيُّ: الْمَالِ لَشَدِيدٍ أَيُّ: كَثِيرُ الْحُبِّ لِلْمَالِ. وَحُبُّهُ لِذَلِكَ، هُوَ الَّذِي أُوجِبَ لَهُ تَرْكُ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ، قَدَّمَ شَهْوَةَ نَفْسِهِ عَلَى رِضَا رَبِّهِ، وَكُلُّ هَذَا لِأَنَّهُ قَصَرَ نَظْرَهُ عَلَى هَذِهِ الدَّارِ، وَغَفَلَ عَنِ الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ حَاتِّئًا لَهُ عَلَى خَوْفِ يَوْمِ الْوَعِيدِ:

أَفَلَا يَعْلَمُ أَيُّ: هَلَّا يَعْلَمُ هَذَا الْمُعْتَرِّ إِذَا بُعِثَرَ مَا فِي الْقُبُورِ أَيُّ: أَخْرَجَ اللَّهُ الْأَمْوَاتَ مِنْ قُبُورِهِمْ، لِحَشْرِهِمْ وَنَشُورِهِمْ.

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ أَيُّ: ظَهَرَ وَبَانَ مَا فِيهَا وَ مَا اسْتَتَرَ فِي الصُّدُورِ مِنْ كَمَائِنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَصَارَ السَّرُّ عَلَانِيَةً، وَالْبَاطِنُ ظَاهِرًا، وَبَانَ عَلَى وُجُوهِ الْخَلْقِ نَتِيجَةُ أَعْمَالِهِمْ.

إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ أَيُّ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِهِمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الْخَفِيَّةِ وَالْجَلِيَّةِ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا. وَخَصَّ خَبْرَهُمْ بِذَلِكَ الْيَوْمِ، مَعَ أَنَّهُ خَبِيرٌ بِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ النَّاشِئِ عَنِ عِلْمِ اللَّهِ وَاطَّلَاعِهِ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَارِعَةِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ

الْقَارِعَةُ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا تُقَرِّعُ النَّاسَ وَتُرْعِجُهُمْ بِأَهْوَالِهَا، وَلِهَذَا عَظَّمَ أَمْرَهَا وَفَحَّخَهُ بِقَوْلِهِ: الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَالْهَوْلِ، كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ أَيُّ: كَالْجَرَادِ الْمُنْتَشِرِ، الَّذِي يَمُوجُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ، وَالْفَرَاشُ: هِيَ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تَكُونُ فِي اللَّيْلِ، يَمُوجُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ لَا تَدْرِي أَيَّنَ تُوَجَّهُ، فَإِذَا أُوقِدَ لَهَا نَارٌ تَهَافَّتَتْ إِلَيْهَا لِضَعْفِ إِدْرَاكِهَا، فَهَذِهِ حَالُ النَّاسِ أَهْلِ الْعُقُولِ، وَأَمَّا الْجِبَالُ الصَّمُّ الصَّلَابُ، فَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ أَيُّ: كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ، الَّذِي بَقِيَ ضَعِيفًا جِدًّا، تُطَيَّرُ بِهِ أَدْنَى رِيحٍ، قَالَ تَعَالَى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ، تَكُونُ هَبَاءً مَنْثُورًا، فَتَضْمَحِلُّ وَلَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ يُشَاهَدُ، فَحِينَئِذٍ تُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَيُنْقَسَمُ النَّاسُ قِسْمَيْنِ: سَعْدَاءَ وَأَشْقِيَاءَ، فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ أَيُّ: رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ بَانَ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ تُقَاوِمُ سَيِّئَاتِهِ.

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ أَيُّ: مَاوَاهُ وَمَسْكَنُهُ النَّارُ، الَّتِي مِنْ أَسْمَائِهَا الْهَاطِيَةُ، تَكُونُ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ الْمَلَارِمَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا.

وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ، فَأَمُّ دِمَاعِهِ هَاوِيَةٌ فِي النَّارِ، أَيُّ: يُلْقَى فِي النَّارِ عَلَى رَأْسِهِ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْهَآكِمِ التَّكَآثُرِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَآكِمُ التَّكَآثُرُ حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

يَقُولُ تَعَالَى مُؤَبِّحًا عِبَادَهُ عَنِ اسْتِعْغَالِهِمْ عَمَّا خَلَقُوا لَهُ مِنْ عِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَتَقْدِيمَ مَحَبَّتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ: الْهَآكِمُ عَنْ ذَلِكَ الْمَذْكُورِ التَّكَآثُرِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُتَكَآثِرَ بِهِ، لِيَشْمَلَ ذَلِكَ كُلَّ مَا يَتَكَآثَرُ بِهِ الْمُتَكَآثِرُونَ، وَيَفْتَنِحُرُ بِهِ الْمُفْتَنِحُرُونَ، مِنَ التَّكَآثِرِ فِي الْأَمْوَالِ، وَالْأَوْلَادِ، وَالْأَنْصَارِ، وَالْجُنُودِ، وَالْخَدَمِ، وَالْجَاهِ، وَعَظِيمِ ذَلِكَ مِمَّا يُفْصَدُ مِنْهُ مُكَآثِرَةٌ كُلٌّ وَوَاحِدٌ لِلْآخِرِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ وَجْهَ اللَّهِ.

فَاسْتَمَرَّتْ غَفْلَتُكُمْ وَلَهْوَتُكُمْ وَتَشَاغُلُكُمْ حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ فَانْكَشَفَ حَيْثُ لَكُمْ الْغَطَاءُ، وَلَكِنْ بَعْدَ مَا تَعَدَّرَ عَلَيْكُمْ اسْتِنَافُهُ. وَدَلَّ قَوْلُهُ: حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ أَنَّ الْبُرْزَخَ دَارٌ مَقْصُودٌ مِنْهَا النُّفُودُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ سَمَاهُمْ زَائِرِينَ، وَلَمْ يُسَمِّهِمْ مُقِيمِينَ.

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ فِي دَارِ بَاقِيَةٍ غَيْرِ فَانِيَةٍ، وَلِهَذَا تَوَعَّدَهُمْ بِقَوْلِهِ: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَي: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَمَّاكُمْ عِلْمًا يَصِلُ إِلَى الْقُلُوبِ، لَمَّا الْهَآكِمُ التَّكَآثُرُ، وَلِبَادَرْتُمْ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وَلَكِنْ عَدَمُ الْعِلْمِ الْحَقِيقِيِّ، صَيَّرَكُمْ إِلَى مَا تَرَوْنَ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ أَي: لَتَرِدُنَّ الْقِيَامَةَ، فَلَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ.

ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ أَي: رُؤْيَاهُ بَصَرِيَّةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا .

ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ الَّذِي تَنَعَّمْتُمْ بِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، هَلْ قُمْتُمْ بِشُكْرِهِ، وَأَدَيْتُمْ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ، وَلَمْ تَسْتَعِينُوا بِهِ، عَلَى مَعَاصِيهِ، فَيَنعَمُكُمْ نَعِيمًا أَعْلَى مِنْهُ وَأَفْضَلَ.

أَمْ اغْتَرَزْتُمْ بِهِ، وَلَمْ تَقُومُوا بِشُكْرِهِ؟ بَلْ رَبَّمَا اسْتَعَنْتُمْ بِهِ عَلَى الْمَعَاصِي فَيُعَاقِبُكُمْ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
الْآيَةَ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ وَالْعَصْرِ وَهِيَ

مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

أَقْسَمَ تَعَالَى بِالْعَصْرِ، الَّذِي هُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، مَحَلُّ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَأَعْمَالِهِمْ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ خَاسِرٌ، وَالْخَاسِرُ ضِدُّ الرَّابِحِ.

وَالْخَسَارُ مَرَاتِبٌ مُتَعَدِّدَةٌ مُتَفَاوِتَةٌ:

قَدْ يَكُونُ خَسَارًا مُطْلَقًا، كَحَالِ مَنْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَفَاتَهُ النَّعِيمُ، وَاسْتَحَقَّ الْجَحِيمَ.

وَقَدْ يَكُونُ خَاسِرًا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ دُونَ بَعْضٍ، وَلِهَذَا عَمَّمَ اللَّهُ الْخَسَارَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، إِلَّا مَنْ اتَّصَفَ بِأَرْبَعِ صِفَاتٍ:

الْإِيمَانُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَلَا يَكُونُ الْإِيمَانُ بِدُونِ الْعِلْمِ، فَهُوَ فَرْعٌ عَنْهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ.

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَهَذَا شَامِلٌ لِأَفْعَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا، الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الْمُتَعَلِّقَةِ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ.

وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، أَي: يُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، وَيَحْتُثُّ عَلَيْهِ، وَيُرَغِّبُهُ فِيهِ.

والتَّوَّاصِي بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَعَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ.

فَبِالْأَمْرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ، يُكْمَلُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ، وَبِالْأَمْرَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ يُكْمَلُ غَيْرَهُ، وَبِتَكْمِيلِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ، يَكُونُ الْعَبْدُ قَدْ سَلِمَ مِنَ الْخَسَارِ، وَفَازَ بِالرَّبْحِ الْعَظِيمِ .

تفسير سورة الهمة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ

وَيْلٌ أَي: وَعَيْدٌ، وَوَبَالٌ، وَشِدَّةٌ عَذَابٍ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي يَهْمَزُ النَّاسَ بِفِعْلِهِ، وَيَلْمُزُهُمْ بِقَوْلِهِ، فَالْهُمَازُ:
الَّذِي يَعِيبُ النَّاسَ، وَيَطْعَنُ عَلَيْهِمْ بِالْإِشَارَةِ وَالْفِعْلِ، وَاللَّمَّازُ: الَّذِي يَعِيبُهُمْ بِقَوْلِهِ.

وَمِنْ صِفَةِ هَذَا الْهُمَازِ اللَّمَّازِ، أَنَّهُ لَا هَمَّ لَهُ سِوَى جَمْعِ الْمَالِ وَتَعْدِيدِهِ وَالْغِنْيَةَ بِهِ، وَلَيْسَ لَهُ رَغْبَةٌ فِي انْفَاقِهِ
فِي طَرَقِ الْخَيْرَاتِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، يَحْسَبُ بِجَهْلِهِ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ فِي الدُّنْيَا، فَلِذَلِكَ كَانَ كَدُّهُ
وَسَعْيُهُ كُلُّهُ فِي تَنْمِيَةِ مَالِهِ، الَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ يَنْمِي عُمُرَهُ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْبُخْلَ يَقْصِفُ الْأَعْمَارَ، وَيُخَرِّبُ الدِّيَارَ،
وَأَنَّ الْبِرَّ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ.

كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ أَي: لَيُطْرَحَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ تَعْظِيمٌ لَهَا، وَتَهْوِيلٌ لِشَأْنِهَا.

ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ الَّتِي مِنْ شِدَّتِهَا تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ أَي: تَنْفُذُ
مِنَ الْأَجْسَامِ إِلَى الْقُلُوبِ.

وَمَعَ هَذِهِ الْحَرَارَةِ الْبَلِيغَةِ هُمْ مَحْبُوسُونَ فِيهَا، قَدْ أَيَسُوا مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَلِهَذَا قَالَ: إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّةٌ
أَي: مُغْلَقَةٌ فِي عَمَدٍ مِنْ خَلْفِ الْأَبْوَابِ مُمَدَّدَةٍ لِئَلَّا يَخْرُجُوا مِنْهَا كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا .

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفِيلِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ

أَيُّ: أَمَا رَأَيْتَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظِيمِ شَأْنِهِ، وَرَحْمَتِهِ بَعْبَادِهِ، وَأَدْلَةِ تَوْحِيدِهِ، وَصِدْقِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا فَعَلَهُ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، الَّذِينَ كَادُوا بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَأَرَادُوا إِخْرَابَهُ، فَتَجَهَّزُوا لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَاسْتَصْحَبُوا مَعَهُمُ الْفِيلَةَ لِهَدْمِهِ، وَجَاءُوا بِجَمْعٍ لَا قِبَلَ لِلْعَرَبِ بِهِ، مِنْ الْحَبَشَةِ وَالْيَمَنِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى قُرْبِ مَكَّةَ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَرَبِ مُدَافِعَةٌ، وَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْهُمْ، أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ أَيُّ: مُتَفَرِّقَةً، تَحْمِلُ أَحْجَارًا مُحَمَّاةً مِنْ سِجِّيلٍ، فَرَمْتَهُمْ بِهَا، وَتَتَّبَعَتْ قَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ، فَحَمَدُوا وَهَمَدُوا، وَصَارُوا كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ، وَكَفَى اللَّهُ شَرَّهُمْ، وَرَدَّ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَقَصَّتْهُمْ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ وَكَانَتْ تِلْكَ السَّنَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَارَتْ مِنْ جُمْلَةِ إِرْهَاصَاتِ دَعْوَتِهِ، وَأَدْلَةِ رِسَالَتِهِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ.

تفسير سورة إيلاف

قُرَيْشٍ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ

قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ مُتَعَلِّقٌ بِالسُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا أَيُّ: فَعَلْنَا مَا فَعَلْنَا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ لِأَجْلِ قُرَيْشٍ وَآمَنَهُمْ، وَاسْتِقَامَةَ مَصَالِحِهِمْ، وَانْتِظَامَ رِحْلَتِهِمْ فِي الشِّتَاءِ لِلْيَمَنِ، وَالصَّيْفِ لِلشَّامِ، لِأَجْلِ التَّجَارَةِ وَالْمَكَاسِبِ.

فَأَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، وَعَظَّمَ أَمْرَ الْحَرَمِ وَأَهْلَهُ فِي قُلُوبِ الْعَرَبِ، حَتَّى احْتَرَمُوهُمْ، وَلَمْ يَعْتَرِضُوا لَهُمْ فِي أَيِّ سَفَرٍ أَرَادُوا، وَلِهَذَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالشُّكْرِ، فَقَالَ: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ أَيُّ: لِيُوحِّدُوهُ وَيُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ فَرَعَدُ الرِّزْقِ وَالْأَمْنُ مِنَ الْخَوْفِ، مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ، الْمُوجِبَةِ لَشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَلَكَ اللَّهُمَّ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى نِعَمِكَ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَخَصَّ اللَّهُ الرَّبُوبِيَّةَ بِالْبَيْتِ لِفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَاعُونِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ

يَقُولُ تَعَالَى ذَمًّا لِمَنْ تَرَكَ حَقُّوقَهُ وَحَقُّوقَ عِبَادِهِ: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ أَيُّ: بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، فَلَا يُؤْمِنُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ أَيُّ: يَدْفَعُهُ بَعْنِفٍ وَشِدَّةٍ، وَلَا يَرْحَمُهُ لِقَسَاوَةِ قَلْبِهِ، وَلِأَنَّهُ لَا يَرْجُو ثَوَابًا، وَلَا يَخَافُ عِقَابًا.

وَلَا يَحْضُ غَيْرُهُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَمِنْ بَابِ أَوْلَى أَنَّهُ بِنَفْسِهِ لَا يُطْعِمُ الْمِسْكِينِ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ أَيُّ: الْمُتَزَمِّينَ لِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَلَكِنَّهُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أَيُّ: مُضَيِّعُونَ لَهَا، تَارِكُونَ لِقَوْتِهَا، مُجِلُّونَ بِأَرْكَانِهَا وَهَذَا لِعَدَمِ اهْتِمَامِهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ حَيْثُ ضَيَّعُوا الصَّلَاةَ، الَّتِي هِيَ أَهْمُ الطَّاعَاتِ وَأَفْضَلُ الْقُرْبَاتِ، وَالسَّهْوُ عَنِ الصَّلَاةِ، هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الذَّمَّ وَاللُّؤْمَ وَأَمَّا السَّهْوُ فِي الصَّلَاةِ، فَهَذَا يَقَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، حَتَّى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلِهَذَا وَصَفَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ بِالرِّيَاءِ وَالْفُسُوقِ وَعَدَمِ الرَّحْمَةِ، فَقَالَ: الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ أَيُّ يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ لِأَجْلِ رِئَاءِ النَّاسِ.

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ أَيُّ: يَمْنَعُونَ إِعْطَاءَ الشَّيْءِ، الَّذِي لَا يَضُرُّ إِعْطَاؤُهُ عَلَى وَجْهِ الْعَارِيَةِ، أَوْ الْهَبَةِ، كَالْإِنَاءِ،

وَالدَّلْوِ، وَالْفَأْسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا جَرَتْ الْعَادَةُ بِبَدْلِهِ وَالسَّمَّاحِ بِهِ .
فَهَؤُلَاءِ - لِشِدَّةِ حِرْصِهِمْ - يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ.

وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ، الْحَثُّ عَلَى إِطْعَامِ الْيَتِيمِ، وَالْمَسَاكِينَ، وَالتَّحْضِيضِ عَلَى ذَلِكَ، وَمُرَاعَاةِ الصَّلَاةِ،
وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَعَلَى الْإِخْلَاصِ فِيهَا وَفِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ. وَالْحَثُّ عَلَى فِعْلِ الْمَعْرُوفِ وَبَدْلِ الْأُمُورِ
الْخَفِيفَةِ، كَعَارِيَةِ الْإِنَاءِ وَالِدَّلْوِ وَالْكِتَابِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ ذَمَّ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمْتَنًا عَلَيْهِ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ أَي: الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، وَالْفَضْلَ الْغَزِيرَ، الَّذِي مِنْ جُمْلَتِهِ، مَا يُعْطِيهِ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ النَّهْرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْكَوْثَرُ وَمِنَ الْحَوْضِ . طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ فِي كَثْرَتِهَا وَاسْتِنَارَتِهَا، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَلَمَّا ذَكَرَ مِنْتَهُ عَلَيْهِ، أَمَرَهُ بِشُكْرِهَا فَقَالَ: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ خَصَّ هَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ بِالذِّكْرِ، لِإِنَّهُمَا أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ وَأَجَلُّ الْقُرْبَاتِ.

وَلِأَنَّ الصَّلَاةَ تَتَضَمَّنُ الْخُضُوعَ فِي الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ لِلَّهِ، وَتَنْقُلُهُ فِي أَنْوَاعِ الْعِبُودِيَّةِ، وَفِي النَّحْرِ تَقَرُّبٌ إِلَى اللَّهِ بِأَفْضَلِ مَا عِنْدَ الْعَبْدِ مِنَ النَّحَائِرِ، وَإِخْرَاجٌ لِلْمَالِ الَّذِي جُبِلَتْ النُّفُوسُ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَالشُّحِّ بِهِ.

إِنَّ شَانِئَكَ أَي: مُبْغِضُكَ وَدَائِمُكَ وَمُنْتَقِضُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ أَي: الْمَقْطُوعُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، مَقْطُوعُ الْعَمَلِ، مَقْطُوعُ الذِّكْرِ.

وَأَمَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ الْكَامِلُ حَقًّا، الَّذِي لَهُ الْكَمَالُ الْمُمْكِنُ لِلْمَخْلُوقِ، مِنْ رَفْعِ الذِّكْرِ، وَكَثْرَةِ الْأَنْصَارِ، وَالْإِتْبَاعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

أَيُّ: قُلْ لِلْكَافِرِينَ مُعَلِنًا وَمُصْرِحًا لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ أَيُّ: تَبَرًّا مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لِعَدَمِ إِخْلَاصِكُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ لِلَّهِ، فَعِبَادَتُكُمْ لَهُ الْمُقْتَرِنَةُ بِالشَّرِكِ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً، ثُمَّ كَرَّرَ ذَلِكَ لِيَدُلَّ الْأَوَّلُ عَلَى عَدَمِ وُجُودِ الْفِعْلِ، وَالثَّانِي عَلَى أَنَّ ذَلِكَ قَدْ صَارَ وَصْفًا لَازِمًا.

وَلِهَذَا مَيَّرَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَفَصَلَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ، فَقَالَ: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ .

تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّصْرِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا

فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، بِإِشَارَةٍ وَأَمْرٍ لِرَسُولِهِ عِنْدَ حُصُولِهَا، وَإِشَارَةٍ وَتَنْبِيهِ عَلَى مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ.

فَالْبِشَارَةُ هِيَ الْبِشَارَةُ بِنَصْرِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ، وَفَتْحِهِ مَكَّةَ، وَدُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، بِحَيْثُ يَكُونُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَنْ أَهْلُهُ وَأَنْصَارِهِ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مِنْ أَعْدَائِهِ، وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الْمُبَشِّرُ بِهِ، وَأَمَّا الْأَمْرُ بَعْدَ حُصُولِ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ، فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَشْكُرَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَيُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ وَيَسْتَغْفِرَ، وَأَمَّا الْإِشَارَةُ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ إِشَارَتَيْنِ: إِشَارَةٌ لِأَنَّ يَسْتَمِرَّ النَّصْرُ لِلدِّينِ، وَيَزْدَادَ عِنْدَ حُصُولِ التَّسْبِيحِ بِحَمْدِ اللَّهِ وَاسْتِغْفَارِهِ مِنْ رَسُولِهِ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ الشُّكْرِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَقَدْ وَجَدَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَبَعْدَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ لَمْ يَزَلْ نَصْرُ اللَّهِ مُسْتَمِرًّا، حَتَّى وَصَلَ الْإِسْلَامُ إِلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ دِينَ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَدَخَلَ فِيهِ مَا لَمْ يَدْخُلْ فِي غَيْرِهِ، حَتَّى حَدَثَ مِنَ الْأُمَّةِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ مَا حَدَثَ، فَأَبْتُلُوا بِتَفْرِيقِ الْكَلِمَةِ، وَتَشْتُّتِ الْأَمْرِ، فَحَصَلَ مَا حَصَلَ.

وَمَعَ هَذَا فَلِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا الدِّينِ، مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلُطْفِهِ، مَا لَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ، أَوْ يَدُورُ فِي الْخَيَالِ.

وَأَمَّا الْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ، فَهِيَ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ أَجَلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَرُبَ وَدَنَا، وَوَجْهَهُ ذَلِكَ أَنَّ عُمْرَهُ عُمُرٌ فَاضِلٌ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ.

وَقَدْ عَهَدَ أَنَّ الْأُمُورَ الْفَاضِلَةَ تُخْتَمُ بِالِاسْتِغْفَارِ، كَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَأَمْرُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ بِالْحَمْدِ وَالِاسْتِغْفَارِ فِي هَذِهِ الْحَالِ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَجْلَهُ قَدْ انْتَهَى، فَلْيَسْتَعِدَّ وَيَتَهَيَّأْ لِلِقَاءِ رَبِّهِ، وَيَخْتِمَ عُمُرَهُ بِأَفْضَلِ مَا يَجِدُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ، وَيَقُولُ ذَلِكَ فِي صَلَاتِهِ، يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي».

تفسير سورة تبت

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ

أَبُو لَهَبٍ هُوَ عَمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ وَالْأَذِيَّةِ لَهُ، فَلَا فِيهِ دِينٌ، وَلَا حَمِيَّةٌ لِلْقَرَابَةِ -قَبْحَهُ اللَّهُ- فَذَمَّهُ اللَّهُ بِهَذَا الذَّمِّ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ خِزْيٌ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ أَي: خَسِرَتْ يَدَاهُ، وَشَقِيَ وَتَبَّ فَلَمْ يَرْبِحْ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ فَاطْغَاهُ، وَلَا مَا كَسَبَهُ فَلَمْ يَرُدَّ عَنْهُ شَيْئًا مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ إِذْ نَزَلَ بِهِ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ أَي: سَتُحِيطُ بِهِ النَّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، هُوَ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ .

وَكَانَتْ أَيْضًا شَدِيدَةَ الْأَذِيَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَتَعَاوَنُ هِيَ وَزَوْجُهَا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَتُلْقِي الشَّرَّ، وَتَسْعَى غَايَةَ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي أذِيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَجْمَعُ عَلَى ظَهْرِهَا الْأَوْزَارَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَجْمَعُ حَطْبًا، قَدْ أُعِدَّ لَهُ فِي عُنُقِهِ حَبْلًا مِّن مَّسَدٍ أَي: مِّن لِّيفٍ.

أَوْ أَنَّهَا تَحْمِلُ فِي النَّارِ الْحَطَبَ عَلَى زَوْجِهَا، مُتَقَلِّدَةً فِي عُنُقِهَا حَبْلًا مِّن مَّسَدٍ، وَعَلَى كُلِّ، فَفِي هَذِهِ السُّورَةِ، آيَةٌ بَاهِرَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ، وَأَبُو لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ لَمْ يُهْلَكَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمَا سَيُعَذَّبَانِ فِي النَّارِ وَلَا بُدَّ، وَمِنْ لَازِمِ ذَلِكَ أَنَّهُمَا لَا يَسْلَمَانِ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

أَيُّ قَوْلٍ جَازِمًا بِهِ، مُعْتَقِدًا لَهُ، عَارِفًا بِمَعْنَاهُ، هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ أَيُّ: قَدْ انْحَصَرَتْ فِيهِ الْأَحَدِيَّةُ، فَهُوَ الْأَحَدُ الْمُنْفَرِدُ بِالْكَمَالِ، الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْكَامِلَةُ الْعُلْيَا، وَالْأَفْعَالُ الْمُقَدَّسَةُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ.

اللَّهُ الصَّمَدُ أَيُّ: الْمَقْصُودُ فِي جَمِيعِ الْحَوَائِجِ. فَأَهْلُ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِفْتِقَارِ، يَسْأَلُونَهُ حَوَائِجَهُمْ، وَيَرْغَبُونَ إِلَيْهِ فِي مَهَمَّاتِهِمْ، لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي أَوْصَافِهِ، الْعَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي عِلْمِهِ، الْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حِلْمِهِ، الرَّحِيمُ الَّذِي كَمَلَ فِي رَحْمَتِهِ الَّذِي وَسَعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَهَكَذَا سَائِرُ أَوْصَافِهِ، وَمِنْ كَمَالِهِ أَنَّهُمْ يَلِدُ وَلَمْ يُولَدْ لِكَمَالِ غِنَاهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ لَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فَهَذِهِ السُّورَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَلَقِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

أَي: قُلْ مُتَعَوِّذًا أَعُوذُ أَي: أَلَجًا وَالْوَدُ، وَأَعْتَصِمُ بِرَبِّ الْفَلَقِ أَي: فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَفَالِقُ الْإِصْبَاحِ.

مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَهَذَا يَشْمَلُ جَمِيعَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، مِنْ إِنْسٍ، وَجِنٍّ، وَحَيَوَانَاتٍ، فَيُسْتَعَاذُ بِخَالِقِهَا، مِنْ الشَّرِّ الَّذِي فِيهَا، ثُمَّ خَصَّ بَعْدَ مَا عَمَّ، فَقَالَ: وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ أَي: مِنْ شَرِّ مَا يَكُونُ فِي اللَّيْلِ، حِينَ يَعْشَى النَّاسَ، وَتَنْتَشِرُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ الشَّرِّيرَةِ، وَالْحَيَوَانَاتِ الْمُؤْذِيَةِ.

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ أَي: وَمِنْ شَرِّ السَّوَاحِرِ، اللَّاتِي يَسْتَعِنُّ عَلَى سِحْرِهِنَّ بِالنَّفْثِ فِي الْعُقَدِ، الَّتِي يَعْقِدْنَهَا عَلَى السَّحْرِ.

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَالْحَاسِدُ، هُوَ الَّذِي يُحِبُّ زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنِ الْمَحْسُودِ فَيَسْعَى فِي زَوَالِهَا بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَاحْتِيجَ إِلَى الْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ، وَإِبْطَالِ كَيْدِهِ، وَيَدْخُلُ فِي الْحَاسِدِ الْعَايِنِ، لِأَنَّهُ لَا تَصْدُرُ الْعَيْنُ إِلَّا مِنْ حَاسِدٍ شَرِيرِ الطَّبَعِ، خَبِيثِ النَّفْسِ، فَهَذِهِ السُّورَةُ، تَضَمَّنَتْ الْإِسْتِعَاذَةَ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ، عُمُومًا وَخُصُوصًا.

وَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ السَّحَرَ لَهُ حَقِيقَةٌ يُخْشَى مِنْ ضَرَرِهِ، وَيُسْتَعَاذُ بِاللَّهِ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِهِ .

تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ
مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ

وَهَذِهِ السُّورَةُ مُشْتَمَلَةٌ عَلَى الْإِسْتِعَاذَةِ بِرَبِّ النَّاسِ وَمَالِكِهِمْ وَإِلَهُهِمْ، مِنَ الشَّيْطَانِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الشُّرُورِ
كُلِّهَا وَمَادَّتِهَا، الَّذِي مِنْ فِتْنَتِهِ وَشَرِّهِ، أَنَّهُ يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فَيَحْسِنُ لَهُمُ الشَّرَّ، وَيُرِيهِمْ إِيَّاهُ فِي صُورَةٍ
حَسَنَةٍ، وَيُنَشِّطُ إِرَادَتَهُمْ لِفِعْلِهِ، وَيُنَبِّطُهُمْ عَنِ الْخَيْرِ وَيُنَبِّطُهُمْ عَنْهُ، وَيُرِيهِمْ إِيَّاهُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ، وَهُوَ
دَائِمًا بِهَذِهِ الْحَالِ يُوسْوِسُ وَيَحْسِنُ أَيُّ: يَتَأَخَّرُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَاسْتَعَانَ عَلَى دَفْعِهِ.

فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ وَيَسْتَعِيدَ وَيَعْتَصِمَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ.

وَأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ، دَاخِلُونَ تَحْتَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْمُلْكِ، فَكُلُّ دَابَّةٍ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا.

وَبِالْوَهْيِ اللَّيِّ خَلَقَهُمْ لِأَجْلِهَا، فَلَا تَتِمُّ لَهُمْ إِلَّا بِدَفْعِ شَرِّ عَدُوِّهِمْ، الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَقْتَطِعَهُمْ عَنْهَا وَيَحُولَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ مِنْ حَزْبِهِ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ، وَالْوَسْوَاسُ كَمَا يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ يَكُونُ مِنَ
الْإِنْسِ، وَلِهَذَا قَالَ: مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْلًا وَآخِرًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَنَسَّأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ، وَأَنْ يَعْفُوَ عَنَّا ذُنُوبًا لَنَا حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِنْ بَرَكَاتِهِ، وَخَطَايَا وَشَهَوَاتٍ

ذَهَبَتْ بِقُلُوبِنَا عَنْ تَدْبِيرِ آيَاتِهِ.

وَنَزَجُوهُ وَنَأْمُلُ مِنْهُ أَنْ لَا يَحْرِمَنَا خَيْرَ مَا عِنْدَهُ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا، فَإِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ، وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَّا الضَّالُّونَ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مُتَوَاصِلِينَ أَبَدَ الْأَوْقَاتِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

تَمَّ تَفْسِيرُ كِتَابِ اللَّهِ بِعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ، عَلَى يَدِ جَامِعِهِ وَكَاتِبِهِ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ سَعْدِيِّ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ فِي غُرَّةِ ربيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَعَ النُّقْلُ فِي ٧ شَعْبَانَ سَنَةِ (١٣٤٥) رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا وَاعْفُ عَنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.